

ديوان  
محمد الفيتوري

المجلد الثاني

دار الفنون



ديوان  
محمد الفيتوري

دیوان

محمد الفیتوری

دار الفیوة بیروت

# **جميع الحقوق محفوظة**

دار العودة

بيروت - كورنيلش المزرعة

عمارة الريفييرا سنتر

١٩٧٩

# محمد الفيتوري

بقلم الدكتور منيف موسى

- ١ -

سيرته :

« ... إنك ستعيش متغرباً عن وطنك وانت سعيد  
الحظ ، وسيكون لك اعداء كثر ولكنهم لن يستطيعوا أن  
ينالوا منك ... ان نجمك ينتشر ولست ادري ما ستكون في  
المستقبل . احاكم<sup>(١)</sup> ام رجل دين<sup>(٢)</sup> ام شيء آخر » .<sup>(٣)</sup>  
بهذا الكلام حدث الوالد ابنه ثلاث مرات ، خلال ثلاثين  
سنة ، وكان قد قرأ طالعہ في كفه : المرة الأولى ، عندما كان  
الابن في الحادية عشرة من عمره ، والمرة الثانية عندما كان في

---

( ١ ) كذا في الأصل . والصواب ( حاكم ) .

( ٢ ) كذا في الأصل . والصواب ( شيئاً ) .

( ٣ ) راجع البقيلي (فاروق) « الفيتوري آدم المطرود من الجنة »

« مجلة الديار » ١٩٧٤ . العدد ٦٧ ، آب ، ص ٥٦ .

السابعة عشرة ، والمرة الثالثة قبل وفاة الوالد<sup>(١)</sup> بشهر واحد<sup>(٢)</sup> .  
ومحمد الفيتوري عرف الهجرة والغربة منذ طفولته ،  
وصار شاعراً كبيراً وشريداً طريداً لا يهدأ ولا يستقر ،  
شاعراً يعيش متجزلاً على أرصفة الوطن العربي ، تستقبله  
عاصمة عربية وتحتضنه ، وتجلده عاصمة عربية أخرى  
وتطارده فكأن نبوءة والده الشيخ الورع ، والصوفي الطيب  
قد تحققت<sup>(٣)</sup> .

فمن هو محمد الفيتوري ، هذا الشاعر الذي غنى كثيراً ،  
وعانى كثيراً ، وأحب كثيراً ، ؟ ومن يكون هذا الرجل  
الأسمر الذي واجه التشرد والغربة والمحن بقلب كبير ؟ .  
ولد محمد الفيتوري ، في بلدة (الحنينة) - عاصمة  
دار مساليت<sup>(٤)</sup> ، الواقعة على حدود السودان الغربية .

---

(١) توفي والد الفيتوري في ٢٦ شباط ١٩٦٩ .

(٢) راجع : المرجع السابق نفسه ص ٥٦ .

(٣) راجع : البقيلي (فاروق) : « هكذا غادر الفيتوري لبنان » ،

مجلة « الديار » ١٩٧٤ العدد ٦١ ، حزيران ، ص ٥٥ .

(٤) من حديث شافهي به الشاعر نفسه ، واذن بنشره ، وعن

المساليت راجع : شقير (نعوم) : « جغرافية وتاريخ السودان »

دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٧ ، ص ٥٨ .

والمساليات من القبائل السودانية الكبيرة وتشتهر بالفروسية .  
والطريف في الأمر ، أن شاعرنا يجهل تاريخ ميلاده (١) .

والده ، الشيخ مفتاح رجب الشيعي الفيتوري ، وكان  
خليفة خلفاء الطريقة العروسية الشاذلية الأسمرية ، أو الطريقة  
الأسمرية (٢) ، وهو من فرع اولاد الشيخ من الغواتير احدى

---

( ١ ) لقد أجمع الباحثون على أن تاريخ ولادة الفيتوري هو سنة  
١٩٣٠ ، لكن الشاعر لا يعرف تاريخ ميلاده بالضبط ، إذ لم يكن في  
قبيلة المساليات سجل تدون فيه الولادات ، وما هو معروف عن القبائل  
شبه البدائية وقبائل العرب الرحل ، انها لا تهتم كثيراً بتسجيل تواريخ  
ولادة أبنائهم في السجلات الرسمية نتيجة لظروفها الاجتماعية الخاصة .  
وقد أحدث ذلك للشاعر اشكالا عندما أراد أن يدخل إلى المعهد الديني .  
فذهب به والده إلى طبيب شرعي ليختار له سناً تناسبه فاختار الطبيب للولد  
سناً تسمح له بدخول المعهد ، وكان آنذاك في سن أقل من السن القانونية  
للقبول ( من حديث مع الشاعر اذن بنشره ) . وصرحت السيدة « آسيا »  
زوج الشاعر السابقة ان ميلاد الفيتوري كان سنة ١٩٢٩ ، كما أخبرها  
بذلك حموها الشيخ مفتاح رجب الفيتوري والد شاعرنا .

( ٢ ) نسبة إلى سيدي عبد السلام الأسمر ( ٨٨٠ هـ - ٩٨١ م )  
راجع كتاب : المصراقي ( العلي بن طاهر ، ابو علي ) : « فتح العلي  
الأكبر في تاريخ حياة سيدي عبد السلام الأسمر » الطبعة الأولى ، دار  
الكشاف ، بيروت ، القاهرة ، بغداد ، ١٩٦٩ ، ص ١٨ و ٥٦ .  
وعن الطريقة الأسمرية ، راجع المرجع نفسه ، ص ٤٣ وما بعدها .

قبائل البدو الليبية والمعروفة بالتقوى والصلاح ، والغواتير  
من الدراويش ومشهورون بالكرامات والمعجزات ، والليبيون  
يخافونهم وفيهم يقولون : الغواتير لا تديروا ما يديروا ،  
ولا تنهاهم عما يديروا ( باللهجة الليبية ) أي :  
الغواتير لا تفعل مثل ما يفعلون ، ولا تنههم عما يفعلون<sup>(١)</sup>.

أما والدته ، فهي الحاجة ( عزيزة علي سعيد ) ، من  
أسرة شريفة ، من قبيلة « الجهمة »<sup>(٢)</sup> العربية الحجازية . التي  
هاجرت إلى صعيد مصر ، ومن ثمة إلى ليبيا . وكانت تشتهر  
بالتجارة والفروسية ، ومن أشهر رجالها ، جد شاعرنا  
( الشريف علي سعيد ) ، وكان تاجر رقيق وعاج وذهب  
وحرير . وكانت له صلات بسلاطين افريقية والسودان ،  
وكان يتجر عن طريق ( درب الأربعين ) التي تربط ما بين  
السودان وليبية الغربية .

---

( ١ ) من حديث شافهني به الشاعر نفسه واذن بنشره .

( ٢ ) من حديث شافهني به الشاعر نفسه واذن بنشره ، وراجع أيضاً :

كحالة ( عمر رضا ) مادة : « الجهمة » : « معجم قبائل العرب القديمة  
والحديثة » ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين ، بيروت ،

١٩٦٨ ، ص ٢١٤ .

وفي احدى رحلاته ، أهديت اليه ( جارية ) فتزوجها ، وجعلها ( حرة ) لأنها كانت فوق جمالها ابنة أسرة من كبار قومها ، وأنجبت له ذكراً ( توفي ) ، وأنثى هي والدة شاعرنا الفيتوري ، وكان اسم الزوج هذه « زهرة » وفي حضن الجدة « زهرة » تربى الفيتوري مدة من حياته ، وكان لها تأثيرها العميق في تكوينه النفسي والشعري (١) .

وكانت أسرته تتألف من الأب والأم وشقيقة ومنه . وقد توفي لهم ذكور ثلاثة هم : محمد ( غير شاعرنا ) ، وابراهيم ، وعبد السلام .

عرفت أسرته الهجرة غير مرة ، إذ أن الوالد قد هاجر من ليبيا إلى غربي السودان ، قبيل الحرب العالمية الأولى ، مع من هاجر من أبناء ليبيا بسبب وطأة الاستعمار الإيطالي ، وتحت ظروف تكاد تكون شبيهة بالظروف التي اضطرت أبناء لبنان وسوريا إلى الهجرة في القرن التاسع عشر . وكانت أسرة الأم قد هاجرت هي ايضاً إلى هناك حيث استقرت

---

( ١ ) من حديث شافهني به الشاعر نفسه ، واذن بنشره .

الأسرتان فتعرف والد الفيتوري بالوالدة ، وتزوجها ،  
وكانت صغيرة السن . ومن غربي السودان هاجرت الأسرة  
الجديدة ، إلى مصر ( الاسكندرية ) حيث نشأ محمد وترعرع .  
في الاسكندرية ، وفي بيت كله التقوى والصلاح والحزم  
والعطف ، تربي محمد ، بين قسوة الأب ، وحنان الأم ،  
وفي بيئة تخيم عليها : « ... قوة المصارعة ، مصارعة الحياة ،  
والتغلب على الآلام بالايمان والعمل الدؤوب ، حيث ينتزع  
الناس لقمة العيش الشريف بالعرق المتصبب ، ويصارعون  
الف مشكلة ... » (١) .

---

( ١ ) المصراقي ( علي مصطفى ) : مقدمة ديوان « معزوفة لدرويش  
متجول » لمحمد الفيتوري . الطبعة الأولى ، دار المصراقي ، طرابلس ،  
ليبيا ، ١٩٦٩ ، ص ١١ .

## الفيتوري التلميذ :

وفي منطقة القباري في الاسكندرية ، في شارع المكس  
بالتحديد نشأ الفيتوري والتحق بمدرستها الأولية ، ( مدرسة  
الإخلاق ) للشيخ عبد الحلق البسيوني لحفظ القرآن الكريم ،  
تأهباً لدخول الأزهر الشريف كما قضت بذلك رغبة والديه ،  
إذ نذراه ليكون خادماً لكتاب الله العزيز <sup>(١)</sup> .  
وحفظ القرآن الكريم ، لكنه عانى في حفظه كثيراً ،

---

( ١ ) راجع : الفيتوري ( محمد ) : « اذكريني يا افريقيا » الطبعة ؟  
دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٦ .  
و « تجربتي في الشعر » مجلة « الآداب » ١٩٦٦ ، العدد ٣ ، مارس  
( آذار ) ص ٩ . و « ديوان محمد الفيتوري » الطبعة ؟ دار العودة ،  
بيروت ١٩٧٢ ، ص ٧ و ٨ . ومقدمة ديوان « معزوفة لدرويش متجول »  
بقلم مصطفى علي المصري ، ص ١١ .

فكان يلاقي جزاء نسيانه اياه ، ويتذكر الفيتوري ايام تلمذته ،  
وقد لاح في مخيلته خيال شخصه الصغير ابن الاثني عشر ربيعاً ،  
فيقول : « اذكر انني عانيت في حفظه كثيراً ( اي القرآن الكريم )  
كم من امتحان سقطت فيه ، وعوقبت على نسيانه اشد العقاب ،  
من عصا شيخني الضرير السمين » . كانوا يعلقونه من قدميه  
في « الفلكة » — قطعة من الجريدة مشدودة إلى طرفيها  
قطعة من حبل مرشاة عند الوسط بعض الشيء ، بحيث تتسع  
لقدمي مثله ويأخذ اثنان من أقدامه يقفان هنا وهناك ، في  
الضغط عليها حتى تصير قدماه بينهما ، مسطحتين في  
وضع متواز ، وتبدأ عصا الفقيه ، حركتها البندولية  
صعوداً وهبوطاً ، فوق قدميه ، دونما هوادة ، أو استجابة  
لصرخاته واناته الضعيفة المتقطعة .. ولم يكن « سيدنا »  
يكف عن ممارسة هذه العملية الا بعد أن تكون قد تعبت  
ذراعه » (١) .

بالإضافة إلى حفظ القرآن الكريم تلقى الحساب والإنشاء  
والأنشيد ، شأنه في ذلك شأن كل تلميذ في مثل سنه في  
مدارس ذلك العهد .

---

( ١ ) الفيتوري ( محمد ) « اذكريني يا افريقيا » ، ص ٦ ، مجلة

الآداب ، ١٩٦٦ ، آذار ، ص ٩ ، والديوان ، ص ٨ .

وقامت الحرب العالمية الثانية ، وكان الفيتوري في المدرسة  
الأولية ، في الاسكندرية ، فلا يعرف كيف قامت ، ولا لم  
قامت ، إنها في مخيلته ، لم يكن يفهم لها معنى . إنما كانت  
هناك حال من الرعب تصيب المواطنين بسبب الغارات  
الألمانية التي كانت تدمر وتحرق وتخرّب . فكان يلجأ مع  
أسرته ومع الكثيرين من أمثالهم إلى الخندق ... وعقب  
الغارات كان يخرج مع الأطفال ليروا ما أحدثته القنابل  
من فواجع .

لقد تركت هذه الغارات في نفسه أشياء ، فجّرت مشاعر  
غامضة بالخوف والقلق والحزن والتوتر ، باحساس ما ، بأن  
هناك شيئاً غريباً يحدث في هذا العالم الذي كان يراه عالم سلام ،  
تعكره الحرب التي لا ترحم .. لقد كان يحس احساس  
الرجل : كان عنده بقطة حواس مبكرة قبل أن تنضج .

وكان لأقاصيص جدته الزنجية واساطيرها أثرها  
البعيد في نفسه كان يبحث عن الحقيقة في اليقظة المبكرة . كل  
هذا تضافر وساعد على استيقاظه الدائم للكلمة وللنظرة . وهو  
لا يفهم السر .. لقد كان في منتهى التوهج كان متوتراً إلى

« حد الاحتراق » (١) ، انه بلا ريب ، لم يكن يعرف في ذلك  
الحين سبب الاحتراق ولم يكن باستطاعته أن يعرف (٢) .

واشتدت وطأة الحرب ، وكان لا يزال في المدرسة  
الأولية حوالي السنة ١٩٤٤ ، فاضطرت أسرته للهجرة إلى  
ريف مصر ، إلى قرية ( عرمش ) في منطقة كفر الدوار ،  
وفي الريف المصري ، اتصل هذا الطفل بالطبيعة الحقيقية –  
هذه الأسرة الآتية من المدينة ، تسكن بيتاً طينياً ، وتعيش  
عيشة الفلاح – فتنبس الطبيعة هذه بكل حوافرها  
وانعكاساتها فيه : الأرض ، الفصول ، الضباب ، العمال ،  
الفلاحون .

وكان لا بد لهذا الفتى الأسمر المتخلي عن الدراسة ، ان  
يلهو في الريف – بعيداً عن أزيز الطائرات ودوي المدافع ،  
وانفجار القنابل – فتعاطف مع الطبيعة بشكل عميق انه كان  
في غالبية ، ايامه يخرج من البيت مبكراً ليصطاد السمك في

---

( ١ ) من تعابير الشاعر نفسه .

( ٢ ) من حديث شافهي به الشاعر نفسه ، واذن بشره .

الترعة القريبة من القرية ، ويطارد الفراش ، ويلعب الكلاب  
ويغازل الزهر والشجر ، ويراقب الفلاحين والعمال في  
أعمالهم وحلهم وترحالهم <sup>(١)</sup> ليكتب فيما بعد :  
« كانت جموع السحب

كان الدجى يرخي جناحيه على القرية  
وكانت لأوجه ذات الأسى  
ذات العيون الاستوائية  
قد انزوت خلف سراديبها  
تحلم بالنار ، وبالثورة <sup>(٢)</sup> ..  
.....

« ... وانتصبت أذرعهم في الدجى  
مثل محاريث علاها الصدا <sup>(٢)</sup> ..  
ويتذكر الفيتوري أيامه تلك في قرية ( عرمش ) :  
« ... وراح يرى ملء أحلامه

---

( ١ ) من حديث شافهي به الشاعر نفسه ، واذن بنشره .  
( ٢ ) الفيتوري ( محمد ) : « أغاني افريقيا » ، الطبعة الثانية ،  
مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٥٦ ، ص ٢٦ و ٢٩ الديوان ، ص ٦٧ و ٧١

جزائر غارقة في الغمام  
يظللها نغم أزرق ..  
شفيف .. شفيف بلون السلام  
وكانت هنالك عند الشمال  
حقول متوجة بالغلال  
وقوم من السود مستغرقون  
يرصون أكداستها في التلال  
وأصواتهم وزغاريدهم  
ترفف صاعدة من بعيد  
كما يتصاعد كل صباح ضباب الحقول  
بيضاء شديدة .

وحين تصف طيور الغروب  
على الأفق أجنحتها المذهبات  
وتمضي تنقر ثوب السكون  
بكل مناقيرها المتعبات  
تراهم يلوحون فوق الدروب

أو يتوارون خلف الشجر  
وهم عائدون إلى دورهم  
بأيـد مثقلة بالزهر .. » (١)

وتضع الحرب العالمية الثانية أوزارها ، ويعود محمد  
الفيثوري إلى الاسكندرية ليتابع دراسته في المعهد الابتدائي  
حتى عام ١٩٤٧ ، ثم بعد ذلك يلتحق ، ولمدة سنتين -  
بالمعهد الديني التابع للأزهر في الاسكندرية ( حتى عام  
١٩٤٩ ) في رأس التين ، حيث بدأت مسيرته الطويلة ، لفهم  
اللغة العربية والتعرف إلى مصادرها ، والفلسفة الاسلامية  
وبعض العلوم الحديثة كالحساب والجغرافية والرسم ، ليعود  
بعدها ، ويدخل المعهد الديني الثانوي في القاهرة . ثم إلى  
الأزهر الشريف حتى عام ١٩٥٣ . حيث تابع دراسته  
في علم الصرف والعروض والفقه والشرعية وعلم الكلام

---

( ١ ) الفيثوري ( محمد ) : « أغاني افريقيا » ، ص ٥٢ و ٧ ،

الديوان ص ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ . مجلة « الآداب » ١٩٥٥ ، العدد ١ كانون  
الثاني ص ٦٤ .

والمنطق والتاريخ والجغرافية وعلم البديع ، وتعرف إلى بعض  
اعلام الفلسفة . ولكنه « ... في زحام الفية ابن مالك ، ومشاكل  
النحو والاعراب ، وقضايا الفقه والشريعة ، ومجادلات  
الفلاسفة والمتكلمين ، أحس بالغربة والحزن ، يخيمان على  
روحه » و « يؤرقان أيامه ولياليه .. » (١) .

ومن الأزهر ، وفي العام الدراسي ١٩٥٣ - ١٩٥٤  
انتقل الفيتوري إلى كلية دار العلوم بالجامعة القاهرية ، فرع  
الآداب والدراسات الإسلامية ، حيث قضى فيها سنتين ،  
ثم تركها من دون أن ينال شهادتها ، منصرفاً إلى دنيا القلم ،  
والصحافة وفي أثناء دراسته في كلية دار العلوم ، نشر ديوانه  
الاول « أغاني افريقيا » (٢) عام ١٩٥٥ ، فأقامت له الكلية  
حفلة تكريمية تشجيعاً ، واعتزازاً بطالب استطاع أن يهز

---

( ١ ) الفيتوري ( محمد ) : « اذكريني يا افريقيا » ص ١٠ ،  
الديوان ، ص ١٣ ، مجلة الآداب ١٩٦٦ ، آذار ، ص ٩ .

( ٢ ) صدر هذا الديوان بطبعته الأولى عام ١٩٥٥ ، عن دار المعارف ،  
بيروت وطبع غير مرة . وقد اعتمدت على الطبعة الثانية بعد مقابلتها  
بالطبعة الأولى .

الأوساط الأدبية والفكرية في مصر والعالم العربي ، بالقضية التي تناولها في هذا الديوان . ودفاعه عنها ، الا وهي القضية الافريقية (١) .

هذا الطالب الشاعر ، كان كسولا في دروسه ، غير مواظب على حضور المحاضرات الجامعية ، متمرداً ، يكره القوالب الجافة التي تملئها عليه الدروس ، فكان يهرب من « روتينها » إذ هو في توهج دائم وحركة مستمرة ، - كحبات الزئبق الرجراجة في يدك - في تطلع بعيد ، تحدوه الرغبة الجامحة ، إذ كان يهيم بالشعر ، وبالكلمة القوية . الكلمة العنيفة .

وكان يخفف من حدته هذه ، هربه من قاعات الدرس ، إلى شواطئ الاسكندرية وإلى شراء الكتب للمطالعة ، وحضور محاضرات تتفق ومزاجه . والبحث عن كاتب أو شاعر .. كانت الكلمة تتمخض فيه ، تؤرقه ، تعذبه ، لقد كانت

---

( ١ ) من حديث شافهني به الدكتور عبد الحكيم بليغ نفسه ، واذن بنشره ، وكان استاذ الفيتوري في كلية دار العلوم .

بدايات شاعريته . وللافراج عن كبتة <sup>(١)</sup> وعذابه - كان يناقش ويمحاضر ، ويتظاهر مع الطلبة المظاهرين ويخطب فيهم . لقد عاش الفيتوري يفاعته في اضطراب وشغفان وتنقل محلي دائم ، وشارك بالاحداث الطالبيية واعمالها . حتى انه كان عضواً في جمعية طالبيية تسمى « جبهة مصر » وكان شاعرها ( عام ١٩٤٨ ) <sup>(٢)</sup> .

وترك الجامعة قبل أن ينهي دراسته فيها ، مؤثراً العمل القلمي الصحفي ، هارباً من رتابة الدروس وقيود الجامعة وقوانينها ، ومن قيود المحاضرات المفروضة واجوائها ، ربما لأنه وجد أن العمل الصحفي يؤمن له عيشاً <sup>(٣)</sup> ، ويحرره من الاغلال التي كان فيها على حد اعتقاده . وبهذا يكون قد دخل معترك الحياة رجلاً يكافح بعزيمة الرجال ، وارادة اصحاب الكلمة .

---

( ١ ) راجع : المصري ( علي مصطفى ) : « مقدمة ديوان معزوقة لدرويش متجول » ص ١٢ - ١٤ .

( ٢ ) من حديث شافهني به الشاعر نفسه ، واذن بنشره .

( ٣ ) من حديث شافهني به الدكتور عبد الحكيم بليغ نفسه ، واذن بنشره .

## الفيتوري الرجل :

« . . . ذلك الشاعر .. من يكون ؟ »

ذلك المغني الهمجي

ذلك المهرج الحزين

ذلك الذي يصبغه الجلال والذهول

كلما انحنى على جراحه

وراح يقرع الطبول ... » (١) .

هذا الشاعر هو محمد الفيتوري الرجل ، الذي تحمله  
الكلمة الحساسة ، والشعور الحزين ، ويلفه الجلال والذهول  
في آن معاً . ذلك أن الفيتوري ذو طبيعة بالغة الاحساس ،  
تؤله النظرة : « ... دائماً تحاصرني عيونهم .. تتابعني حينما

---

( ١ ) الفيتوري ( محمد ) : « اذكريني يا افريقيا » ص ٤٣ —

الديوان ص ٢٣٠ .

اسير .. انهم يسخرون مني ... لقد فضضت سر اللغز .  
سر مأساتي أنني قصير ، واسود ، ودميم ... »<sup>(١)</sup> .

« فقير أجل .. ودميم دميم

بلون الشتاء .. بلون الغيوم

يسير فتسخر منه الوجوه

وتسخر حتى وجوه الهموم

فيحمل أحقادها في جنون<sup>(٢)</sup>

ويحضن أحزانه في وجوم<sup>(٣)</sup>

ولكنه ابدا حالم

وفي قلبه يقظات النجوم..»

---

( ١ ) الفيتوري ( محمد ) : « مجلة الرسالة » ١٩٥٢ المجلد ٢٠ ،

العدد ١٩٧٧ آذار ( مارس ) ص ٣٤٠ ، المصدر السابق نفسه ص ١٢ ،  
و « الآداب » ١٩٦٦ ، العدد ٣ آذار ص ١٠ ، والديوان ، ص ١٥-١٦ .

( ٢ ) ورد في مجلة الرسالة ص ٣٤٠ « فيحمل آلامه في جمود » .  
ويشرب أحزانه في وجوم « ورد في الديوان ص ١٦ ، « فيحمل آلامه  
في جمود » .

( ٣ ) المراجع السابقة نفسها والصفحات نفسها .

اذن ، فالفيتوري - وعلى حد تعبيره - فقير ، واسود ،  
وبشع ، وهذا الثالوث من الفقر والسواد والبشاعة جعل منه  
إنساناً . يحس مأساته ذات عبء ثقیل ، نهشت كيانه ، فجعلته  
يصب شعره ، ناراً محرقة ، وحقداً اسود ، وتمرداً عنيفاً ،  
يخالطها حزن عميق بشعره بالهزء والسخرية .

ويصور وجهه وقامته بريشة حادة ، كأنه ينحت في  
صخر ، وذلك بنوع يشبه الألم الدامي :  
« ... فقير (١) .. فوجه كأني به

دخان تكشف ثم التحم

وعينان فيه كأرجوحيتين

مقلتين بريح الألم

وأنف تحدر ثم ارتمى

فبان كمقبرة لم تتم

---

(١) وردت في مجلة « الرسالة » ١٩٥٢ ، المجلد ٢٠ ، العدد  
٩٧٧ ، آذار ( مارس ) ص ٣٤٠ ، « دميم » وكذلك في كلمة محمود  
أمين العالم حول ديوان « أغاني افريقيا » ص ٥ والديوان ص ٤٤ .

ومن تحنها شفة ضخمة  
بدائية قلما تبسم

وقامته لصقت بالتراب

وان هزئت روحه بالقمم .<sup>(١)</sup>

ولكن من يعرف الفيتوري أو يتأمل صورته ملياً . يراه  
قصير القامة ، نحيلها ، ذا بشرة سمراء مائلة إلى السواد  
أكرت الشعر جاحظ العينين من دون نتوء ، وأنف أفطس  
نوعاً ما ، وفم ذى شفتين عريضتين غير ضخمتين كما  
صورهما . وهو إلى ذلك عادي الملابس على غير تأنق ،  
تفوح كلماته بمعاني العنفوان والكرامة .

والأزمة التي اجتاحتها ربما يعود سببها إلى كونه قد نشأ  
وعاش قسماً من شبابه في مدينة سيطرت فيها الأقلية  
الأوروبية البيضاء ، مكونة طبقة ارسقراطية انعزلت عن  
ابناء الطبقة المحلية وتعالّت بعنجهيتها العنصرية عليهم .

---

( ١ ) الفيتوري ( محمد ) : « الديوان » ص ١٧ ، ومجلة « الرسالة »

١٩٥٢ العدد ٩٧٧ ص ٣٤٠ .

وقد لحق بها ابناء اسر الباشوات والحكام بطانة العهد  
الملكي البائد في مصر ، وهؤلاء جميعاً لم يعرفوا الوجه الأسود  
الا خادماً ذليلاً .. <sup>(١)</sup> فهو لو عاش في قلب القارة حيث تبدو  
سحته السمراء شيئاً عادياً لا يثير السخرية لربما تغيرت شعوره  
واما فقره فقد كان فقراً محترماً ، يقول :

« لم نكن فقراء جداً ، لم نكن فقراء بالمعنى الانساني  
المهين . كنا فقراء محترمين ، يجد الأب يومياً ، ما يكفي  
لزوجته وطفليه من القوت كما كان لنا بيت صغير أوي اليه .  
البيت لم يكن من صنيع الأب ، كانت الأم قد ورثت بعض  
المال عن والدها الثري المتوفي ذلك التاجر الليبي علي سعيد .  
كان في زمانه أحد كبار تجار الرقيق . وعندما توفي ترك  
ثروة اقتسمها الورثة وكانت امي احدى الورثة . وهكذا

---

( ١ ) راجع العالم ( محمود امين ) : « مقدمة ديوان اغاني افريقيا »  
وديوان محمد الفيتوري ( ص ٤ ، و ص ٤٢ و ٤٣ .

والنويهي ( محمد ) : « الاتجاهات الشعرية في السودان » الطبعة ؟  
معهد البحوث والدراسات العربية العالمية ١٩٥٧ ، ص ١٥٧ .

كان لنا بيت ، جعلنا نبدو امام الآخرين . فقراء محترمين <sup>(١)</sup> ..

هذا الفيتوري الذي يجد في لونه نوع من الكراهية والمهانة ، يناقضه قول حبيبة النبي سليمان اذ تصف نفسها بالجمال وهي سوداء مثله « ... انا سوداء لكني جميلة يا بنات اورشليم كأخبية قيدار وكسرادق سليمان . لا تلتفتن إلى كوني سوداء ، فان الشمس قد لوحثني ... » <sup>(٢)</sup> .

وروحه التي هزئت بالقمم ، والتي تحدث المأساة بعناد ، هي سليلة الغضب والكبرياء ، فالفيتوري ابن الغضب ، وتمرده وليد الكبرياء ، لأنه واثق بنفسه :

« ... ولدت فوق عتبات الصمت والغضب

أنا تمرد التعب .

انا تجسد الدهول ... » <sup>(٣)</sup>

---

( ١ ) من مذكرات الشاعر ، صفحة بخط يده موجودة بحوزتي .

( ٢ ) الكتاب المقدس العهد العتيق ، المجلد الثاني : « سفر نشيد

الأناشيد » ( الطبعة الكاثوليكية ، ١٩٥٠ ) الآية ٤ و ٥ .

( ٣ ) الفيتوري ( محمد ) : « اذكريني يا افريقيا » ص ٤٠ ،

الديوان ٢٣٤ .

وإن روحه مثقلة بالغضب <sup>(١)</sup> ، والفيتوري يغضب  
عندما يقول الشعر ، وهذا الغضب عصب من اعصاب  
شعره <sup>(٢)</sup> :

« ... كان بيت الله قدسياً بهم

قبل أن يأتي على القدس الظلام

وأتوا ... يا كبرياء انتفضي

وانتقم يا جرح .. واغضب يا حسام ... » <sup>(٣)</sup>

وهو إلى ذلك ايضاً متمرّد في مشيته ، وفي سيره كبرياء

فانه يسير على رؤوس أصابعه . ويرى في الغضب املاً

وابتغاءً :

---

( ١ ) الفيتوري ( محمد ) : « اقوال شاهد اثبات » ؟ ، دار العودة

بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ١٩ .

( ٢ ) راجع البقيلي ( فاروق ) « هكذا غادر الفيتوري لبنان »

الديار ، ص ٥٥ .

( ٣ ) الفيتوري ( محمد ) : « الثورة والبطل والمثقة » ، ؟ دار

العودة بيروت . ص ٤٨ و ٤٩ . الديوان ص ٦١٨ .

« ... يا امير الشعر اغضبها ... »

فقد تخلص الروح وتخلص العظام ... » (١)

لقد صور الفيتوري نفسه بسخرية حادة ، فقها ، ولم  
يرأف . لأنه كان مقتنعاً في صميم نفسه بأن لونه كره  
« فتولد في أعماقه مركب نقص جعله يكتب شعراً مماوياً  
بالحقد والغضب » (٢) .

إنما هذا الهيكل الأبنوسي المفرط الحساسية ، يحمل في  
طياته طبيعة حية الضمير ، متيقظة . مشحونة بالكرامة :  
« قلها لا تجبن .. لا تجبن .

قلها في وجه البشرية ..

انا زنجي ..

وابي زنجي الجدد

وامي زنجية ..

---

( ١ ) الفيتوري ( محمد ) : « الثورة والبطل والمشتقة » ، ص ٤٥ ،  
الديوان ص ٦١٤ .

( ٢ ) النويهي ( محمد ) : « الاتجاهات الشعرية في السودان » ص ١٥٧

أنا اسود ..

اسود لكني حر امتلك الحرية ... » (١)

وهو وان كان بنضح حقداً وانتفاضات انتقام ويعلن

بتحد وغضب ثورته السوداء :

« ... لتتفض جثة تاريخنا ..

وليتصب تمثال احقادنا

آن لهذا الاسود .. المنزوي

المستواري عن عيون السنا

آن له أن يتمحدي الوري ... » (٢)

فانه يمد يده لأخيه الانسان ، بانسانية خلاقة تم عن

روح الأخوة الانسانية المنشودة ، وينادي أخاه اينما كان ،

ويمني النفس ببلقائه ، ويعلن له بأنه قد تطهر من حقه

---

( ١ ) الفيتوري ( محمد ) : « أغاني افريقيا » ص ٣٨ ، « والديوان »

ص ٨٠ .

( ٢ ) الفيتوري ( محمد ) : « أغاني افريقيا » ، ص ٢٣ « والديوان »

ص ٦٥ و ٦٦ .

ودفن ثورته :

« يا اخي في الشرق ، في كل سكن

يا اخي في الأرض ، في كل وطن

انا ادعوك ..

يا اخاً اعرفه .. رغم المحن

.....

لم أعد عبد قيودي

لم أعد عبد ماض هرم ... » (١)

والفيتوري ذو مزاج حاد ، « صفراوي » اهلك كل

بهجة وجمال في الحياة (٢) ، ونلاحظ ذلك في صورته وتعايره

والتي استعملها لاسيما في ديوانه الأول « أغاني افريقيا » ،

---

( ١ ) المصدر السابق نفسه ص ٣٢ ، و « الديوان » ص ٧٢ و ٧٣ .

( ٢ ) راجع : النويهي ( محمد ) : الاتجاهات الشعرية في السودان»

ص ١٥٥ .

مثل « حلمك الأسود »<sup>(١)</sup> و « ذاتك المظلمة » و « هنا ،  
هنا وراء الجدار اللامع .. المطلي بأحزاننا » .

إلى عشرات الصور والتعابير القاتمة السوداء التي يضج  
بها هذا الديوان ، وحتى في ديوانيه الثاني « عاشق من افريقيا »<sup>(٢)</sup> ،  
والثالث « اذكريني يا افريقيا » ، يتبدى لنا مزاجه هذا .

لكننا نلمح مزاجه في دواوينه اللاحقة بشكل آخر ،  
حيث ، الاشرار والأمل ، والابتسامة ، على شيء من  
الحزن ، الحزن الرافض الذي يعانق الفرح في مصبه الأخير  
في الانسان :

« ... وكأشجار الغابة .. »

يخضوضر من أجلك حزني

---

( ١ ) الفيتوري ( محمد ) : « أغاني افريقيا » ص : ٢٠ و ٢١  
و ٢٨ - و « الديوان » ص ٦١ و ٦٢ و ٧٠ .

( ٢ ) هو الديوان الثاني للشاعر الفيتوري ، صدر بطبعته الأولى من  
دار الآداب في بيروت سنة ١٩٦٤ ثم توالى طبعاته . وقد اعتمدت على  
الطبعة الصادرة عن دار العودة في بيروت الطبعة ؟ سنة ؟ بعد مقابلتها  
بالطبعة الأولى .

ينمو يتمدد .. يتسلق روحي ... » (١)

و ... فرحي طفل إلهي على نهر ذراعيك

وحزني قمر يسقط في

طاحونة العتمة ... » (٢)

هذه النفس البائسة ، التي حبرت أكداً هائلة من

الصفحات ، في بكاء حبها اليأس ، وشكوى زمنها

الغادر ، ورثاء شبابها الغض الذي شاخ في ريعان الصبا :

« كان الدجى اسود من لعنة

من صرخة حاكمة في الصدور

وكان طول الدرب ، طول الأسى

طول اكتابات شبابي النضير

---

( ١ ) الفيتوري ( محمد ) : « عاشق من افريقيا » دار العودة ،

بيروت ص ١٠٢ والديوان ٤٣٨ .

( ٢ ) الفيتوري ( محمد ) : « ابتسمي حتى تمر الخيل » الطبعة الأولى ،

دار الآداب ، بيروت ، ١٩٧٥ ، ص ٤٧ و ٤٨ ومجلة « الديار »

١٩٧٤ ، العدد ٤٥ آذار ص ٨١ .

وكانت السحب تغطي السما

كأنها أكفان ميت فقير

وكنت امشي متخماً بالردى

كبعوضة تزحف بين القبور ... » (١)

هذه النفس الفيتورية قد تطهرت فيما بعد بنار الحب  
القدسية ، وبتجربة الحياة العميقة ، فازداد وعيها الاجتماعي ،  
وتخلت عن اليأس ، والحقْد الأسود ، وشكوى الزمن القهار ،  
وصارت ترى الدنيا باسمه جميلة والفرح يملأ جنباتها  
والزهور تتضوع في بساطينها :  
« كانت الأرض عذراء

والفجر لم يشتعل بعد ..

فليبق وجهك مشتعلاً بالجمال

اشتعل ابداً بالجمال

اشتعل مثلها ايها الفجري المغني ... » (٢)

---

( ١ ) الفيتوري ( محمد ) : « أغاني افريقيا » ص ٨٨ و « الديوان »

ص ١٣٩ - ١٤٠ .

( ٢ ) الفيتوري ( محمد ) : « اقوال شاهد اثبات » ص ٧٤ ،

ومجلة الأسبوع العربي ١٩٧٢ ١٩٧٢ المجلد ٣ العدد ٦٧٩ ، حزيران ص ٩٠ .

و « ... ابترسمي

حتى تمر الخيل

والبيارق المذهبة ... »<sup>(١)</sup>

و « ... انت مدينة الفرخ التي أغفو على أسوارها  
وأغوص في أحشائها ارضاً وأزمنة ... »<sup>(٢)</sup>

و « ... يا قمري يموت الضوء في شجر النهار

ويصبح البستان مزدهراً

وتزهر فيه ثانية واولد فيك ... »<sup>(٣)</sup>

ومحمد الفيتوري الحاقد ، الذي عظم العتمة ، ومجد  
الدمامة ، وغنى الانتقام ، أضحي مغنياً للنور والجمال والحب .  
« دائماً يتألق وجهك في حائط

---

( ١ ) الفيتوري ( محمد ) « ابترسمي حتى تمر الخيل » ص ٨ ، ومجلة  
« الديار » ١٩٧٣ العدد ٤ .

( ٢ ) المصدر السابق نفسه : ص ١١٠ ، ومجلة « بيروت المساء »  
١٩٧٥ ، العدد ٦٤ ك ٢ ( شباط ) ، ص ٦٢ .

( ٣ ) الفيتوري ( محمد ) : « ابترسمي حتى تمر الخيل » ص ١٠٢  
ومجلة « بيروت المساء » ١٩٧٥ ، ٦٤ .

الصمت ...

نشق جوهرة الصمت عنك  
وتبدو الأميرة قادمة من عصور الكهانة والسحر  
رائعة توقظ الردهات

وتفضح بهو المرايا ... » (١)

و « ... سآتي

انا والحب

فلنغنّ الآن الحب ... » (٢)

والفيتوري القلق الذي كان يسكن في مدائن الرحيل  
والتنقل : « انا قلق بطبعي ، لا أقيم في مكان ، الا وشعرت  
بالرغبة في مغادرته إلى مكان آخر ... » لا أعرف ما إذا  
كان سبب ذلك راجعاً ، إلى ظروف تكويني ، أو ظروف

---

( ١ ) المصدر السابق نفسه : ص ٣٤ ومجلة « الديار » ١٩٧٣ ،

العدد ١٣ ، تموز ص ٧ .

( ٢ ) المصدر السابق نفسه : ص ٤١ ، ومجلة « الديار » ١٩٧٤ ،

العدد ٤٥ آذار ص ٨١ .

مجتمعي .. » (١) صار يتوق إلى السكون والاستقرار ، والاقامة  
في مكان يحبه ، في بيروت .  
وبالرغم من كبريائه ، وتمرده ، وعناده ، وغضبه ،  
فان الفيتوري يشكو من عقدة الخوف :  
« — أخائف انت ؟

.....

تنام يا مولاي مهموماً ، وتصحو متعباً  
واعجباً  
تلبس تاجاً من الذهب  
وجبة من الحرير والقصب  
وحولك الحجاب والحراس بالآلاف  
ثم تخاف !  
هذه خاتمة المطاف ؟ ... » (٢)

- 
- ( ١ ) الفيتوري ( محمد ) : « لقاء مع الشاعر محمد الفيتوري »  
جريدة « النداء » ١٩٧٢ العدد ٦١ ، أيار ، ص ٢٤ .
- ( ٢ ) الفيتوري ( محمد ) : « سقوط دبشليم » الطبعة الأولى ،  
منشورات نزار قباني ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ١٤ و ١٥ . و « الديوان »  
ص ٥٢٧ - ٥٢٨ .

ويعود سبب ذلك إلى ما عبر عنه في مذكراته : « أعتقد أنهم كانوا يحملوني بأيديهم ، وهم يطلون من شرفة مرتفعة ، في طابق ما ، ويمضون يحركون جسمي الصغير في الهواء ، ولا يعيدوني إلى الأرض أو إلى صدر امي الا بعد أن أكون ، قد صرخت ، وأعولت وارتعدت فرائصي . خوفي من السقوط في الهوة التي يؤرجحوني فوقها ... » .

« لذلك انا أخشى دائماً من الأماكن المرتفعة ، حتى في هذه السن الناضجة ، التي اشرفت عليها .. » (١) .

ان محمد الفيتوري الذي احترق بنار الحقد . والرحيل والغربة ، واكتوى بلهب البغض والنقمة والثورة السوداء ، وعاش في الحزن والقلق ، وحمل مأساته صلياً طوال خمس عشرة سنة ، مأساته اللون ، استطاع ان يرتفع بمستوى عذابه ، وقد تظهر في آتون نار الانسانية والابداع بعد أن خاض تجارب اجتماعية وسياسية كثيرة ، فوعي الحياة ، متعاطفاً مع

---

( ١ ) من مذكرات الشاعر الفيتوري ، صفحة بخطه موجودة بحوزتي .

الناس على مختلف بيئاتهم ومشاربهم ونزعاتهم ، « ... إذ أنه منذ رحيله عن غابات الحزن الرحشي في افريقيا ، إلى جبال الحب الصوفي في لبنان ، وهو يعيش التجربة الانسانية الكبرى ، يتطور فيها ، وتتطور معه ، وانسانه الأسود العاري ...

« من ذلك الوادي الرمادي انا

عارية روحي ، وعار جسدي ... » (١)

« اكتسي زياً حضارياً ، واستبدل بقطعة الحجر وحفة الطين سلاح الوعي وقبضة الاهتمام .

إنه في حالة تباور دائمة نحو الصفاء الكلي ... » (٢)

عمله ووظائفه :

مارس الفيتوري في اثناء إقامته في القاهرة ، العمل

---

( ١ ) الفيتوري ( محمد ) : « اذكريني يا افريقيا » ص ٤٠ و « الديوان » ص ٢٣٠ .

( ٢ ) غصن ( امينة ) : « من كلمة الغلاف الأخير لديوان ابترسمي حتى تمر الحيل » .

الصحفي ، فكتب في غير صحيفة <sup>(١)</sup> وكانت كتاباته ،  
دراسات أدبية ، وتعليقات ادبية وسياسية خاطفة ،  
تقديم مؤلفات واصوات شعرية ناشئة ، اجراء مقابلات  
واستفتاءات ادبية وفكرية وثقافية ، ولاسيما في صحيفة  
« الجمهورية » إذ أن هذه الجريدة إلى جانب المجلات والجرائد  
المصرية ، قد اعتنت بالأدب ، وخصصت له صفحة تظهر  
مرتين في الأسبوع ، باشراف الشاعر محمد الفيتوري <sup>(٢)</sup> .

وبعد أن انتقل إلى السودان عام ١٩٥٨ ، عمل في  
الصحافة السودانية ، فرئس تحرير غير جريدة ومجلة <sup>(٣)</sup> ،  
من أبرزها ، مجلة « الاذاعة والتلفزيون » السودانية ،  
وفي لبنان ، كتب ايضاً في عدة جرائد ومجلات ، فكان

---

( ١ ) من هذه المجلات والصحف : « التحرير » و « آخر ساعة »  
و « الجمهورية » و « الهلال » .

( ٢ ) راجع : مروه ( اديب ) : « الصحافة العربية ، نشأتها  
وتطورها » الطبعة الأولى ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦١ ، ص ٤٤٩ .

( ٣ ) من هذه المجلات والصحف : « النيل » و « الناس »  
و « التلفزيون » و « الأمة » .

محرراً أدبياً في مجلة « الأسبوع العربي » ، ومحرراً في جريدة « بيروت » وشارك « في اصدار مجلة « الديار » التي كان يكتب فيها بعض المقالات المختلفة ، والقصائد ، واسند اليه مهام رئيس تحرير مجلة « الثقافة العربية » الليبية ، لكنه ما لبث أن استقال من هذا المهام على أثر انتقال تحرير المجلة المذكورة ، وطباعتها إلى ليبيا . فعين عضواً في هيئتها الاستشارية (١) .

وكان قد شغل وظيفة خبير اعلامي في جامعة الدول العربية بالقاهرة ، هذه الوظيفة التي كان يرها قريبة إلى

---

( ١ ) هذه الهيئة كانت تزيد وتنقص في عدد أعضائها ، اما أعضاؤها المسجلون في آخر عدد صدر حتى نيسان ١٩٧٥ أي العدد الرابع من السنة الثانية فهم : أبو القاسم كرو ، الدكتور احسان عباس ، الدكتور انيس صايغ ، الدكتور عبد الله عبد الدايم ، الدكتور علي فهمي خشيم ، محمد الفيتوري ، محيي الدين صبحي ، رجاء النقاش ، احمد ابراهيم الفقيه ، وظل الفيتوري رئيس تحريرها حتى العدد السادس : السنة الأولى ، نيسان ١٩٧٤ .

نفسه كونها تتيح له قدراً من الحرية والحركة والانطلاق<sup>(١)</sup>.  
ويقول صديق الفيتوري وزميله الأديب والصحفي ،  
فاروق البقيلي عن عمل الشاعر في جامعة الدول العربية :  
« ... لم يكن يعمل .. ليس لأنه لا يريد .. ولكن لأنهم هم  
لا يريدون<sup>(٢)</sup> » ، واعتراه الملل حتى ضجت روحه منه ،  
يجب أن يهرب إلى مكان ما قبل أن يتحول إلى مومياء في  
متحف ، أو قضية في أرشيف ...<sup>(٣)</sup> .

وبالفعل ، هرب الفيتوري ، وترك وظيفته خبيراً اعلامياً

---

( ١ ) راجع : « لقاء مع الشاعر محمد الفيتوري » ، جريدة « البناء »  
١٩٧٢ ، العدد ٦١ ، ايار ، ص ٢٤ ، وقد حدثني الشاعر ان هذه الوظيفة  
ليست الا ارتداء البذلة وربطة العنق ، والجلوس وراء طاولة المكتب  
والتحدث برصانة ووقار ، إذ كانت مهمته تقتصر على قراءة التقارير  
الواردة من البعثات العربية في الخارج .

( ٢ ) أي السلطات السودانية ، او القائمون على شؤون الاعلام في  
جامعة الدول العربية .

( ٣ ) البقيلي ( فاروق ) : « هكذا غادر الفيتوري لبنان » ، مجلة  
« الديار » ١٩٧٤ ، المجلد ؟ العدد ٦١ ، حزيران ، ص ٥٥ .

اثر رجوع الرئيس السوداني جعفر النميري إلى الحكم<sup>(١)</sup>  
بعد الانقلاب الشيوعي الفاشل الذي قام ضده ، عام ١٩٧١<sup>(٢)</sup> .  
وكان من الأسباب التي أدت إلى تركه وظيفته هذه ، ان  
الشاعر نظم قصيدة في رثاء عبد الخالق محجوب زعيم الحزب  
الشيوعي السوداني آنذاك ، ورفاقه الضباط الذين اشتركوا  
في الانقلاب ، واعدموا بعد محاكمتهم ، فمنع من الرجوع إلى  
السودان ... .

---

( ١ ) استلم الرئيس النميري الحكم في السودان عقب ثورة ٢٥ ايار  
( مايو ) ١٩٦٩ ، راجع كتاب : العقاد ( عامر ) : « وجاء مايو »  
الطبعة الأولى ، دار الحيل بيروت ١٩٧٢ ،

( ٢ ) قام هذا الانقلاب يوم ١٩ تموز ( يوليو ) ١٩٧١ ، بقيادة  
بعض الضباط. ولكنه لم يدم أكثر من ثلاثة ايام إذ أحبط ، وكان على رأس  
الضباط هؤلاء الرائد هاشم العطا ، والرائد فاروق حمد الله ، والمقدم  
بابكر النور ومن المدنيين ، الشفيع احمد الشيخ ، وعبد الخالق محجوب ،  
وقد اعدموا بعد محاكمتهم ، راجع المصدر السابق نفسه . و ( فؤاد مطر ) :  
« الحزب الشيوعي السوداني ، نحروه ام انتحسره ؟ » دار النهار  
للنشر بيروت ١٩٧١ ، ومحجوب ( محمد احمد ) : « الديمقراطية في  
الميزان » دار النهار للنشر بيروت ١٩٧٣ ، ص ٢٢٩ وما بعدها .

وعلى اثر ذلك ، قدم الشاعر إلى بيروت ، مقيماً ،  
وعاملاً بالصحافة شأنه في ذلك شأن الكثيرين من الشعراء  
والكتاب العرب الذين قدموا إلى لبنان مقيمين ، ومحترفين  
صناعة الصحافة ، (١) .

لكن الفيتوري ، ابعد عن لبنان فيما بعد ، وكان ذلك  
يوم ١٤ حزيران ١٩٧٤ لأسباب عزي إلى أنها سياسية ،  
وقد اختار الشاعر السفر إلى ليبيا - باعتبار أنه لبيبي الأصل ،  
لكنه يحمل الجنسية السودانية - ومن ثمة إلى دمشق . وكان  
لابعاده ضجة في الأوساط الفكرية والأدبية اللبنانية والعربية (٢) .  
التي استنكرت هذا الترحيل ، الا أنه وبعد غياب دام حوالي

---

( ١ ) من هؤلاء الشعراء والكتاب :

الشاعر نزار قباني الذي يكتب في « الأسبوع العربي » .

والشاعر محمود درويش الذي يكتب في « المحرر » .

والشاعر معين بسيسو الذي يكتب في « الأسبوع العربي » و « الديار »

والأديب غالي شكري الذي تنقل بين « الدستور » و « المحرر » .

( ٢ ) راجع : مجلة الصياد ، ١٩٧٤ ، العدد ١٥٥٣ ، حزيران ،

ص ٩٧ ومجلة « الدستور » ١٩٧٤ ، العدد ١٩٣ ، حزيران ، ص ٤٩ .

السنة ، سمح له بالعودة إلى لبنان ، وذلك يوم ٨ ايار  
١٩٧٥ (١) .

(١) راجع : جريدة « النهار » ١٩٧٥ ، العدد ١٢٤٧١ ،  
الخميس ٨ ايار ، ص ١٠

## ثقافته :

« كلماتي اشواق سجين عاش

وثار سجين مات

.....

.....

« ... كلماتي اصوات حياة

لا تعرف موت الكلمات ... »<sup>(١)</sup>

الفيتوري الذي لا تعرف كلماته موت الكلمات ، وهي  
في تصاعد متوهج وتألّق يتطهر يوماً بعد يوم ، من اين أستقي  
علمه ، واستمد ثقافته ؟ .

لقد بدأت رحلة ثقافة الفيتوري هذا ، من مناطق إقليم

---

( ١ ) الفيتوري ( محمد ) : « عاشق من افريقيا » دار العودة ،

بيروت ، ص ٢٦ والديوان ص ٣٥٤ و ٣٥٥ .

بحر الغزال في جنوبي السودان ، من حوض جدته « زهرة »  
العجوز الأفريقية ، التي سكبت في روحه خيالات من آفاقها  
السرية الغامضة ، بما كانت تبث في شعوره من حكايات  
وأساطير من عقائد وتصورات رائعة مدهشة ومخيفة من  
عالمها الذي كانت تعيشه في أعماقها فانسكبت كلها  
في شعوره وكونت لديه نواة ثقافة تابع شاعرنا رحلتها  
فيما بعد (١) .

وتدرج تلميذاً في جميع مراحل الدراسة ونال قسطاً  
من العلوم العالية ، وفي أرقى مدارس العصر ، فأمدته بمادة  
لا يستهان بها من العلوم التي يحتاجها .

فقد حفظ القرآن الكريم ، وقرأ سفر ارميا ونشيد  
الأناشيد ، واقبل على الأدب العربي ، وكان له محبة في قلبه ،  
إذ عثر على بعض كتبه في مكتبة ابيه الشيخ الصوفي ، قرأ

---

( ١ ) من حديث شافهني به الشاعر نفسه واذن بنشره ، وراجع ايضاً ،

جريدة المساء القاهرية عدد ١ / ٨ / ١٩٦٥ . « محمد الفيتوري

يتمنى أن يكون ممثلاً » مجلة « الصياد ١٩٧٢ . المجلد ٢ ، العدد ١٤٤٨  
حزيران ص ٦٠ ، حديث أجرته معه هدى الحسيني .

«سيرة عنتره» ، ووجد فيه شخصية تماثله حياة وبيئة ، ولاسيما انه عربي اسود مثله ، وطالع « رحلة بني هلال » وتعرف إلى أبطالها . واشبع احتياجاته الروحية والعاطفية بقراءات كتب : « حمزة البهلوان » ، والأميرة ذات الهمة ، وسيف بن ذي يزن ، وفيروز شاه ، والف ليلة وليلة » ، وعرج في مطالعته على القصص البوليسي ، كقصص ومغامرات « أرسين لوين » ، وشارلوك هولمز ، واطلع على روائع الآداب الغربية مترجمة بالعربية مثل : « فاوست » و « آنا كارنينا » و « البعث » و « مجدولين » و « الحرب والسلام » و « آلام فارتير » .

واطل عليه من خلال شرفات العصور ونوافذ الفكر وبطون الكتب والدواوين شعراء ملأوا عليه كيانه من امثال : المهلهل ( ت نحو ١٠٠ ق هـ / ٥٢٥ م ) . وطرفة بن العبد ( ت. نحو ٦٠ ق هـ / ٥٦٤ م ) ، وعنتره ( ت. نحو ٢٢ ق.هـ ( ٦٠٠ م ) والنابغة الزبياني ( ت. نحو ٨ ق.هـ / ٦٠٤ م ) ، وزهير بن ابي سلمى ( ت. ١٣ ق.هـ / ٦٠٩ م ) وشغف

بشعرهم ، ولم تقتصر قراءاته على شعراء المعلقات ، بل  
أكبّ على شعر الشعراء الصعاليك ، وأعجبه ايضاً : ابو تمام  
(ت. ٢٣١ هـ / ٨٤٦ م) ؟ والشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ /  
١٠١٦ م) وتلميذه مهيار الديلمي (ت ٤٢٨ هـ / ١٠٣٧ م) .  
والمعري (ت ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م) ورفض ابا نواس (ت  
١٩٦ هـ / ٨١٢ م) ، و ابا العتاهية (ت ٢١١ هـ / ٨٢٦ م ؟)  
والبحتري (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م ؟) وخلال قبوله ورفضه  
كان يمارس كتابة أشيائه الخاصة <sup>(١)</sup> ، ولامسته الحضارة  
الاسلامية بكل تراثها ، ولا ننس انه ابن شيخ من شيوخ  
الطريقة الأسمرية في التصوف .

ونهل كذلك من معين الأدب العربي الحديث ، وتأثر  
في بداية امره بالشعراء الرومنطقيين ومنهم : ابو القاسم  
الشابي (ت ١٩٣٤ م) والياس ابو شبكة (ت. ١٩٤٧ م) ،

---

(١) راجع : « ادكريني يا افريقيا » ص ١٠ و ١١ و ١٢ ،  
الديوان ص ١٣ و ١٤ و ١٥ ، ومجلة « الآداب » ١٩٦٦ ، العدد ٣ ،  
ص ٩ و ١٠ .

وبالمهجرين الذين التقى بهم على صفحات المجلات الأدبية القديمة التي وقعت بين يديه ، لقد التقى بفوزي المعلوف ( ت ١٩٣٠ ) ، م وجبران ( ت ١٩٣١ م ) ، ونسيب عريضة ( ت ١٩٤٦ م ) ، وايليا ابو ماضي ( ت ١٩٥٧ م ) ، وميخائيل نعيمة . وغيرهم من شعراء المهاجر . الذين وجد في شعرهم ، اشياء جديدة تأتيه عبر البحار ، وتوقظ مشاعره واحساسه يقول : « ... ان النكهة التي احسها في فمي عقب قراءتي لقصائد الشعراء المهجرين ، تحيرني .. هل هي نكهة الحديد ؟ هل هي امتزاج الحديد الحقيقي بالقديم ... » (١) .

وكان من اشد هؤلاء المهجرين تأثيراً في نفسه وانطباعاً في فكره جبران خليل جبران لاسيما تأملاته الفلسفية العميقة . إذ كان يشعر انه قريب منه ، فهو مثله غريب وحزين ومكسور القلب (٢) .

---

( ١ ) راجع : « اذكريني يا افريقيا » ص ١٤ ، والديوان ص ٢٢٠

ومجلة « الآداب ١٩٦٦ ، العدد ٣ ص ٩ و ١٠ .

( ٢ ) المصادر السابقة نفسها والصفحات نفسها .

وتوقف طويلا عند جبران في أعماله : « العواصف »  
و « الأجنحة المتكسرة » وحين وقعت في يده قصيدته الطويلة  
« المواكب » فرح كالأطفال ، وشدها إلى صدره وأخذ  
يتعبدها في خشوع <sup>(١)</sup> .

وتعلق الفيتوري بجبران إلى هذا الحد الذي جعله يتساءل :  
« لماذا يا ترى ؟ هل لأن جبران كان مسيحياً يتعاطف مع  
المساكين والعبيد والضعفاء ، وهو يحس أنه واحد من  
هؤلاء ... » <sup>(٢)</sup> .

ووقف مذهولاً امام شارل بودلير ( ت ١٨٦٧ م ) في  
ديوانه « ازهار الشر » وامام تعشقه « بلخان ديفال » الجارية  
السوداء ، لأنه حطم الفوارق الطبقيّة والعنصرية ، بحبه لها ،  
والفيتوري يريد أن يحطم الفوارق تلك ، فهو ينتمي إلى

---

( ١ ) المصادر السابقة نفسها والصفحات نفسها .

( ٢ ) راجع : « اذكريني يا افريقيا » ص ١٥ والديوان ص ٢١  
ومجلة « الآداب » ١٩٦٦ ، العدد ٣ ، ص ١٠ .

بود لير بصلة <sup>(١)</sup> العمل على اتحاد اللونين الأبيض والأسود ،  
أكان ذلك بالجسد ام بالشعر .

وكما نهل من الأدب العربي الحديث ، كذلك قرأ الأدب  
الغربي الحديث والمعاصر ، فأفاد من مطالعة : بوشكين  
( ت ١٨٣٧ م ) وماياكوفسكي ( ت ١٨٩٣ م ) السوفياتيان .  
ورامبو ( ت ١٨٩١ م ) الفرنسي ، وناظم حكمت ( ت  
١٩٦٣ م ) التركي وبابل نيرودا ( ت ١٩٧٣ م ) التشيلي .

ومثلما تثقف شاعرنا أدبياً وفنياً . كذلك تثقف سياسياً  
 واجتماعياً . إذ أنه في اثناء انقطاعه عن الشعر ما بين ١٩٥٥  
و ١٩٦٤ ، عمل بالصحافة والسياسة وخاض غير تجربة  
اجتماعية ، واستطاع أن يخرج من قوقعته الذاتية ، التي تجلت  
في ديوانه « أغاني افريقيا » والتي كانت مفعمة بالحق والانتقام  
يقول : « استطيع الآن بعد أن خلصت من هذه المشاعر  
القديمة ... استطيع أنؤكد أنني كنت مخطئاً في تصوراتي ،  
وفي استقبالي للأشياء ، بل وفي الحكم على نفسي .. » <sup>(٢)</sup>

---

( ١ ) المصادر السابقة نفسها ص : ١٥ - ٢١ - ١٠ .

( ٢ ) جريدة المساء القاهرية عدد ١٠ / ٨ / ٦٥ .

ودخل الحياة من بابها الواسع بعد معاناة ، وانفتح على العالم ،  
وأصبح يعي الحياة ومشاكل المجتمعات أكثر فأكثر ،  
فاستفاد من تجاربه السياسية ، وتخلص من العقدة التي كان  
يعانيها ، عقدة النقص ، عقدة اللون .

وان انقطاعه مدة طويلة ، عن ممارسة الشعر ، وانخراطه  
في العمل السياسي المحلي ، والعمل الصحفي ، قد أكسبه قدراً  
من الوعي بمقائيق السياسات العربية والتفهم العميق لأسرارها  
وحركتها الداخلية . ومن هنا جاء انفتاحه وخروجه من قوقعة  
الذات الافريقية السوداء ، إلى عالم أكثر رحابة ، هو عالم  
الانسان بغض النظر عن لونه أو جنسه أو موقعه . وقد أفادته  
هذه التجربة السياسية . فائدة كبرى ، إذ أنه من خلال  
احتكاكه المستمر بنماذج الشخصيات السياسية ، وملاحظة  
مستوياتها ومواقفها المختلفة .. ومصالحها وأهدافها المتباينة  
أصبح أقدر على رؤية الفساد الذي ينخر عظام المجتمع ،  
واكتشاف الزيف الذي يلزق واجهته (١) .

وكان لانتظام شاعرنا في الأندية الأدبية ومحافلها ،

---

(١) راجع : الفيتوري (محمد) : « لقاء مع الشاعر محمد الفيتوري »

جريدة « البناء » ١٩٧٢ ، العدد ٦١ ، ايار ، ص ٢٤ .

أثر في ثقافته الفنية ، فقد كان عضواً في « رابطة النهر الخالد »<sup>(١)</sup> الأدبية ، وكان يتردد على « رابطة الأدب الحديث » بالإضافة إلى الأمسيات الشعرية التي كان يقيمها مع رفاقه الشعراء المصريين والسودانيين المقيمين في مصر<sup>(٢)</sup> ، ( بالقاهرة ) ، في جمعية الشبان المسيحية ، وجمعية الشبان المسلمين ، ودار نقابة المعلمين بالقاهرة ، هذا الاحتكاك الفكري الأدبي أتاح له أن يتعرف إلى العالم عن كثب ، أن يفهمه ، أن يحاوره ، أن يتأثر فيه ، أن يطلع على مختلف التيارات الفكرية واتجاهاتها . وكل ذلك أكسبه ثقافة واسعة ، استطاع بوساطتها أن يجلي في ميدان الشعر .

---

( ١ ) ذكر محمد عبد المنعم خفاجي ، ونقل عنه أحمد قيش ، أن الفيتوري كان عضواً في رابطة الأدب الحديث . ( قصة الأدب المعاصر في مصر الحديثة ، الجزء الثاني الطبعة الأولى ، المطبعة المنيرية بالأزهر ، ١٩٥٦ ، ص ٧٥ ، وقيش في « تاريخ الشعر العربي الحديث » سنة ١٩٧١ ، ص ٢٤٩ ) وذكر لي الشاعر نفسه أنه لم يكن عضواً في هذه الرابطة ، وإنما كان أحد أعضاء « رابطة النهر الخالد » ، وقد وجدت بعض قصائده موقعة كما يلي : « محمد الفيتوري ( من رابطة النهر الخالد ) ، وكان أيضاً من أعضاء هذه الرابطة الشاعر كمال نشأت ، والشاعر محمد فوزي العنتيل .

( ٢ ) هؤلاء الشعراء هم : تاج السر حسن ، جيلي عبد الرحمن

محيي الدين فارس .

## مؤلفاته وآثاره

لقد أعطى الفيتوري ، منذ صدور ديوانه الأول عام ١٩٥٥ ، وحتى اليوم ، ( شهر آذار ١٩٧٦ ) نتاجاً شعرياً لا بأس به ، وكله يتناول الانسان في كفاحه ونضاله ، في مصيره وحرية وكرامته ، في حبه وثورته ، هذا النتاج بؤراً صاحبه مركزاً مرموقاً بين شعراء العالم العربي المعاصرين ، ويضم نتاجه الشعري الدواوين الآتية : « أغاني افريقيا <sup>(١)</sup> » و « عاشق من افريقيا <sup>(٢)</sup> » و « اذكريني يا افريقيا <sup>(٣)</sup> »

---

( ١ ) صدرت الطبعة الأولى منه عام ١٩٥٥ عن دار المعارف بيروت ، وطبع غير مرة .

( ٢ ) صدرت الطبعة الأولى منه عام ١٩٦٤ عن دار الآداب بيروت ، وطبع غير مرة .

( ٣ ) صدرت الطبعة الأولى منه عام ١٩٦٦ ، عن دار القلم بالقاهرة ، وطبع غير مرة .

و « سقوط دبشليم » <sup>(١)</sup> و « معزوفة لدرويش متجول » <sup>(٢)</sup>  
و « سولارا » <sup>(٣)</sup> و « الثورة والبطل والمشنقة » <sup>(٤)</sup> و « أقوال  
شاهد اثبات » <sup>(٥)</sup> و « ثورة عمر المختار » <sup>(٦)</sup> و « ابتسمي  
حتى تمر الخيل » <sup>(٧)</sup> .

---

( ١ ) وهو عبارة عن قصيدة طويلة ( خماسيات ) وصدرت الطبعة الأولى عام ١٩٦٨ عن منشورات نزار قباني ، بيروت .

( ٢ ) صدرت الطبعة الأولى منه عام ١٩٦٩ ، عن دار المصراقي للطباعة والنشر والتوزيع في ليبيا ( طرابلس الغرب ) مضافاً إليه بعض الحماسيات من سقوط دبشليم وطبع غير مرة .

( ٣ ) وهي مسرحية شعرية صدرت الطبعة الأولى منها عام ١٩٦٩ ، عن الهيئة المصرية العامة للكتاب للتأليف والنشر ، ثم صدرت عن دار العودة في بيروت بطبعتها الثانية . ( أحزان افريقيا - سولارا . )

( ٤ ) صدر عن دار العودة في بيروت ويضم بعض الحماسيات من « سقوط دبشليم » .

( ٥ ) صدر عن دار العودة في بيروت عام ١٩٧٣ .

( ٦ ) وهي مسرحية شعرية ، صدرت الطبعة الأولى منها عام ١٩٧٤ ، عن دار العودة ، بيروت ودار الكتاب العربي ، طرابلس ( ليبيا )

( ٧ ) صدرت الطبعة الأولى منه عام ١٩٧٥ عن دار الآداب ، بيروت

= \* أما ديوان محمد الفيتوري فقد صدر عام ١٩٧٢ ، عن دار العودة في بيروت ويضم على التوالي ( كما ورد في الديوان ) :

- ١ - أغاني افريقيا .
- ٢ - اذكريني يا افريقيا .
- ٣ - عاشق من افريقيا .
- ٤ - معزوفة لدرويش متجول ( مجردة من الحماسيات المضافة اليها من « سقوط دبشليم » ) .
- ٥ - سقوط دبشليم .
- ٦ - البطل والثورة والمشنقة (مجردة من الحماسيات المضافة اليه من « سقوط دبشليم » .

واعتمادي كان على هذه النسخة من الديوان ، إذ أنه عندما كانت الرسالة ماثلة للطبع اكتشفت أن هناك أيضاً نسختين من الديوان المذكور وهما غير مؤرختين ، الأولى تضم على التوالي : أغاني افريقيا - احزان افريقيا - اذكريني يا افريقيا - عاشق من افريقيا - معزوفة لدرويش متجول - خماسيات من ( سقوط دبشليم ) - البطل والثورة والمشنقة - خماسيات من ( سقوط دبشليم ) . والنسخة الثانية تضم على التوالي ايضاً : أغاني افريقيا - اذكريني يا افريقيا - عاشق من افريقيا - معزوفة لدرويش متجول - احزان افريقيا ( سولا را ) - البطل والثورة والمشنقة ، وهما صادرتان عن دار العودة في بيروت .

## مؤلفات غير مطبوعة:

وللفيتوري مؤلفان غير كاملين ، ويعكف الآن على  
اتمامهما وهما مسرحيتان :

— الأولى نثرية بعنوان « السجين »

— والثانية شعرية بعنوان « تاجوج »

واما شعره الأول ، والذي يؤلف حوالي مجلدين كبيرين ،  
فانه ضاع ، مع ما ضاع من كتبه واشيائه ، بين السودان ،  
ومصر ولبنان وليبية وسورية <sup>(١)</sup> ، اثر تنقله المستمر ، وإذا  
وجد — يوماً ما — فقد يشكل مادة صالحة لدراسة الفيتوري  
في بواكيره الشعرية التي تحدث عنها ، عندما كان يكتب  
الشعر مقلداً فيه بعض الشعراء الذين قرأ لهم في أول عهده  
بالقريض .

---

( ١ ) من حديث شافهني به الشاعر نفسه ، واذن بنشره .

وفي اثناء البحث والتنقيب ، عن شعر الفيتوري الأول ،  
غير المنشور في دواوينه ، استطعت العثور على مجموعة من  
القصاصد ، كان قد نشرها في صحف عدة ، من صحف العالم  
العربي ، واعتقد انها تشكل أكثرية ما نشره قبل صدور  
ديوانه الأول ( أغاني افريقيا ) . وسأثبتها في ملحق خاص في  
آخر الرسالة .

هذا النتاج الشعري والقصاصد المتفرقة ، يشكل مجموعة  
الفيتوري الشعرية حتى عام ١٩٧٦ ، بالإضافة إلى عشرات  
المقالات الأدبية والسياسية ، والتعليقات والدراسات الأدبية،  
المنشورة في العديد من صحف العالم العربي ، وتتبعها يحتاج  
إلى وقت طويل ، ولا يستطيع القيام بهذا العمل الا من أراد  
أن يدرس الفيتوري نائراً أو ناقداً ، أو راصداً للحركة الأدبية،  
والتطورات السياسية في المنطقة ، ونحن لا يعيننا من الفيتوري  
في هذا البحث الا شعره .

ومن المجلات التي كتب فيها :

آخر ساعة - والتحرير - والحلال ( القاهرية ) .

- الاسبوع العربي ، والديار ، والآداب ( البيروتية ) .
- الاذاعة والتلفزيون ( السودانية ) .
- الثقافة العربية ( الليبية ) .

ومن الجرائد :

- الجمهورية والأخبار ( القاهرية ) .
  - التلغراف ، الناس ، النيل ، الأمة ( السودانية ) .
  - بيروت ( البيروتية ) .
- وأود أن أشير إلى أن الفيتوري كان قد كتب قصصاً  
أربع ، قصيرة ، ونشرها في جريدة « الجمهورية » القاهرية<sup>(١)</sup>.

---

( ١ ) راجع : جريدة « الجمهورية » ١٩٥٦ المجلد ٢ العدد ٨٨٠ ،  
ايار ، ص ١٢ والعدد ٩٢٤ ، حزيران ، ص ٥ والمجلد ٣ ، العدد ٩٣٠ ،  
تموز ص ١٢ والعدد ٩٤٤ ، ص ٣ .

# أقوال شاهد إنبات

عبر الدهاليز الطويلة ..  
التي تختال في قاعاتها الضيقة السوداء  
آلهة الموت صفوفا  
ناشرات خلفها الصمت والانطفاء  
مشيت محكوما ..  
تعريت من الذكرى  
رقصت رقصتي القاسية الحزينه  
كان دمي مئذنة ، وجسدي مدينه  
غنيت للجنون كيفما أشاء  
أصغيت مثلما أشاء

كنت كمن ليس يبالي  
أنا والتاريخ ..  
والنار التي تخرج من جمجمتي ..  
صاعدةً الى السماء !

— ٢ —

ثمة شيء  
انني أعترف الآن ..  
لقد رأيتهم ..  
إني رأيت القتله  
مرؤاً على عيني  
وكانوا يصخبون كالطيور الجارحه  
كانوا قضاة يحملون الأسلحه  
ويمضغون الكتب المنزله

وكدت لا أفهم ما يحدث  
ما أبشع أن لا يفهم الانسان ما يحدث  
\_ ماذا تصنعون ؟

أقربوا ..

فاقربوا ..

وأمطر الفجر الرمادي رصاصا ودماء  
ومالت الاشجار في حديقة الله

وغطت وجهها السماء

\_ لم تقتلوا البذرة ..

لم تقتلعوا الصخرة ..

قلت أقربوا ..

فاقربوا

وكشفت عن وجهها الهزيمة

واقربوا ..  
وعلقوا صلبانهم في عنقي تيممه  
واختلطت في ناظري الثورة والجريمة  
وكدت لا أفهم ما يحدث ..  
ما أبشع أن نفهم ما يحدث ..  
.. ثم أشعلوا جنازتي  
وطفقوا يتشحون بالرماد واحدا فواحدا  
كانوا يلوّحون في وجه الاله  
بالنعال والمدى  
- جريمة أخرى ..  
سدى تصبغ أيديكم ..  
ولما تفرغوا بعد من الجريمة القديمة  
أنبئكم ..

لن تفلتوا غداً  
من قدر الولادة الأليمه  
ومن مخاض الأمة العظيمه

— ٣ —

والتصق الصراخ في فمي :  
الجناة .. التتريون .. الضحايا ..  
الأسلحه ..

بيارق الثورة في الوحل ..  
الزناة اغتصبوا السلطة  
لم تنج من اللعنة حتى الأضرحة  
يا وطني ! ..  
لم تنج حتى حرقات الأضرحة

سأعترف  
يا من ستأتون غداً  
أني وقفت لم أحرك شفة ولا يدا  
وانني في قمة العصر ..  
شهدت المذبحة !

الى ..

عبد الخالق محبوب ورفاقه

حين يأخذك الصمت منا  
فتبدو بعيداً ..

كأنك راية قافلة غرقت  
في الرمال

تعشب الكلمات القديمة فينا  
وتشبه نار القرايين  
فوق رؤوس الجبال  
وتدور بنا أنت ..

يا وجهنا المختفي خلف ألف سحابه  
في زوايا الكهوف التي زخرفتها الكآبه

ويجر السؤالُ ، السؤال  
وتبدو الإجابةُ نفس الإجابة

\* \* \*

وتناديك ..

نغرس أصواتنا شجراً صندلياً حواليك

نركض خلف الجنائز ..

عارين في غرف الموت ..

نأتيك بالأوجه المطمئنة

والأوجه الخائفة

بتائم أجدادنا ..

بتعاويذهم حين يرتطم الدم بالدم ..

بالصلوات المجوسية الخاطفه

بطقوس المرات  
بالمطر المتساقط في زمن القحط ..  
بالغاب ، والنهر ، والعاصفه !

\* \* \*

قادماً من بعيد على صهوة الفرس ..  
الفارس الحلم ذو الحربة الذهبية  
يا فارس الحزن ..  
مرّغ حوافر خيلك فوق مقابرنا الهمجية  
حرّك ثراها ..  
انتزعها من الموت ..  
كل سحابة موت تنام على الأرض  
تمتصها الأرض ..

تخلقها ثورة في حشاها  
انتزعها من الموت يا فارس الحزن ..  
.. أخضر ..

قوس من النار والعشب ..  
أخضر ..

صوتك ..

يبرق وجهك ..

قبرك ..

– لا تحفروا لي قبراً

سأرقد في كل شبر من الأرض

أرقد كالماء في جسد النيل

أرقد كالشمس فوق حقول بلادي

مثلي أنا ليس يسكن قبراً

لقد وقفوا ..

ووقفت ..

– لماذا يظن الطغاة الصغار

– وتشعب ألوانهم –

ان موت المناضل موت القضية

أعلم سر احتكام الطغاة الى البندقية

لا خائفاً ..

ان صوتي مشنقة للطغاة جميعا

ولا نادماً ..

ان روحي مثقلة بالغضب

كل طاغية صنم .. دمية من خشب

.. وتبسمت

– كل الطغاة دُمى

ربما حسب الصنم ، الدمية المستبدة  
وهو يعلق أوسمة الموت  
فوق صدور الرجال  
انه بطلا ما يزال

- وخطوت على القيد ..

- لا تحفروا لي قبرا

سأصعد مشنقتي

وسأغلق نافذة العصر خلفي

وأغسل بالدم رأسي

وأقطع كفي ..

وأطبعها نجمة فوق واجهة العصر

فوق حوائط تاريخه المائله

وسأبذر قمحي للطيور والسابله

\* \* \*

قتلوني ..

وأنكرني قاتلي

وهو يلتف بردان في كفني

وأنا من ؟

سوى رجل واقف خارج الزمن

كلها زيّفوا بطلا

قلت : قلبي على وطني !

أغني . . . وأكتب مرثيتي

كلما أختلجت شهوة الدم في الأرض ..  
أشعلت المدن الوثنية في الظلمات  
معايدها ..

وأراحت خيول الغزاة ..  
حوافرها العارية  
فوق خارطة الشرق  
أواه ..

يا حائط الأوجه الدمويه  
والصفقات المدانه  
تضحكني كبرياؤك

تضحكني المومياوات شامخةً بالهزيمة  
مزهوة بالاهانه

ترفعني راية من سواد على قبة القدس  
تنقشني آية فوق مقبرة الدولة الأمويه  
أسقط غضبان ..

أحمل شاهد قبري الى الله ..  
ألعن أزمنة الموت والبربريه  
أركض متشجاً برصاص الخيانه  
مختبئاً في تجاويف أقنعة الجاهليه  
أصرخ في غسق الأمة العربيه  
أيتها الراية المستحمة بالنار والدم ..  
أرواح الف نبي ترفرف عبر نسيجك ..

أيتها الأمة العربية !

\* \* \*

حين تحسست جرحك في عتمة الفجر  
أغرقني في هوانهم ، الجالسون على شرفة العصر

أحرق بي التتري المتوج ..

باغتني من شمالي

باغتني من يميني

لامس بالسيف عظم جبيني

— متهم أنت

— أعلم .. لكنكم تحرقون الحقائق والطير

لم تتركوا للذين سيأتون

إلا رماد الحقائق والطير

— متهم أنت

— أعلم .. لكننا الأرض ما فتئت  
والعدو يضاجع تاريخكم ..  
ويبارك حرب أغانيكم الوطنية  
ان جرح فلسطين ليست تضمّده الكلمات  
وعار حزيان ..  
تغسل عار حزيان معركة القادسيه ا

\* \* \*

ولهذا أغني لمن سيجيئون يوماً  
ويمشون فوق عروش الهزيمة ..  
قبل تساقط رايات جيبي  
ولهذا أغني ..  
وأكتب مرثية الساقطين على الدرب  
قبل رحيلي !

رحلة ..  
في عيون بلادي

فجأة ، تحت سقف الظهيرة  
كامرأة خائفه

تطفئ الشمس قنديلها  
ثم ترحل في العاصفه  
راحل في عذابى أنا

مثلما ترحل الشمس في رحم العاصفه  
راحل في عيون بلادي  
المليئة بالدمع

ها نحن ذا يا بلادي  
نتقابل ثانية ..

## في متاهات عصر الرماد

\* \* \*

راحل ، وطني البرق  
يا ويلتا ، أين أمضي ؟  
ارحلي في ،  
يرتحل الجرح والأرض  
فالجرح جرحي ، والأرض أرضي  
وأنا الريح والمدخنه  
ارحلي في ، يا قطعة النجم ..  
ترتحل الأزمنه

\* \* \*

ما الذي أسكت الكلمات ؟

تآكلت الكلمات  
تمرغت الكلمات  
ارحلي في ..  
قلب المغني حزين ،  
وعين الملايين غارقة في السيات

\* \* \*

ما الذي جعل الضحكات  
تزيّف جراح قديمه  
غائرات الحفر  
أنت أم ان طير الهزيمة  
حط فوق غصون الشجر !

\* \* \*

إرحلي فيّ ، مثل الطيور الغريبة ..  
راحلة أبداً ..

تنقر الأفق بالشوق والذكريات  
— سفحت عطرها غابة الشوق والذكريات

إرحلي فيّ ، لا سأما لا انهيارا  
لا احتفالا بسقطتنا ، لا انكسارا  
نحن لم ننكسر

حينما انكسرت قامة الضفدعه

نحن لم ننهزم  
إنما سقطت عن وجوههم الأقنعه

الارض  
لم تسقط ..

بعدك لا ..

قبلك لا ..

لا روعة النصر ، ولا جلال الانكسار

لا هالة المجد ، ولا الشمس ولا المزار

انهتك الستار

وخرج الليل من النهار

فالبطل الذي أضاءت وجهه الأقدار

مضت به الأقدار

مضى ، وأبقى للملايين وللأحرار

أثنى ما يبقيه من بعدهم الشوار

الرمز والشعار  
وحلم الانتصار  
وأن يزول ذلك الجدار  
ويعصف التاريخ بالمغول والتتار  
وتفتح الدار ذراعيها  
لأهل الدار

\* \* \*

بعدك لا ..  
قبلك لا ..  
فالأرض ما تزال  
حبلى ..  
وقلب الشمس ما يزال  
أخضر ..

والثورة ما تزال  
والنهر رغم الطحلب الغائم ما يزال  
والسلفيون الذين احترقوا النضال  
سوف يزولون  
ويبقى الغد للاجيال  
فلتصدق الرؤيا التي أبصرها جمال  
ولينصب الطوفان  
فوق القبور الآن  
خيمته الوحشية الألوان  
وليكتب اسمه على حوائط النيران  
مختما عصر المهرجين والخصيان

\* \* \*

تشابهوا يا خلفاء الله فوق أرضه

يا أمراء العالم القديم  
هاأنذا أرقص في سارية مكسورة  
أنقش تاريخ عذابي  
فوق جذع شجره  
هاأنذا آجرة في الحائط الشرقي  
شاهد محقق في جنبات مقبره  
تشابهوا .. تشابهوا

ها انذا يا أمراء العالم القديم  
أصفكم وحدي على مائدة المساء  
ألمسكم .. أحفر في عيونكم كما أشياء  
أنظر ضاحكا إلى عظامكم  
وهي تغوص فرقا وترتعد  
أطفئكم وأتقد

أرقب ذاك الأفق الغائم وهو يبتعد  
أبحث كالمجنون في أردية الرجال  
وفي زوايا الصمت والظلال  
عن غائب وهو حضور للأبد  
عن أحد ليس كمثله أحد

\* \* \*

ها آنذا أبحث تحت قبعات الساسة السماسره  
عن أمة مهاجره  
تحمل جرح الطعنة الكبرى  
وجرح الطعنات الغادره

\* \* \*

تختلط الرؤى ، الفجيعة

اليقين باليقين  
يجعاني صراخهم عاصفة عمياء  
أوقفوا الصراخ ..  
أوقفوا الأنين  
الحرب لم تكن هي الحرب  
فقد أثرت الموت الخيانه  
وأحترقت أيدي التماثيل المهانه  
الأرض لم تسقط ..  
ولكن سقطت كل الحصون  
وانتصر الغزاة والمهرجون  
\* \* \*

أعرف ان الغد ليس غدهم ..  
وانهم سيهزمون  
فإن من لم يكبروا سيكبرون

وأن من لم يعرفوا سيصرفون  
قد سقط القدس ..

وغاصت حافر القاتل في دماننا المحرمة  
وسقط البراق والوحي  
فهل عرفت ، أو أهل تعرفين ؟  
متى ستسقطين  
يا مكة المكرمة !

\* \* \*

بعدك لا ..  
قبلك لا ..  
لا بد من طوفان  
يفقأ عيني هذه المدينة المحاصره  
لعلها تبصر كيف تولد المؤامره

وتكبر المؤامرة  
وتفرخ المؤامرة  
حتى تسيل مطرا من أسقف البيوت  
لعلها تعرف كيف يقبل البرابرة  
في الريح والضباب  
ويصبح القياصره  
الهة الخراب  
وكيف تضمحل شمس العصر أو تموت !  
مشنوقة من ساقها  
في خيط عنكبوت

الى ..  
غسان كنفاني

لحظة .. ريثا تتأملنا الغيمةُ الراحلة  
ثم تعبر باكية

ريثا تتلامس أشرعة الموت فينا  
لحظة ، ثم 'عد'

أيها المتجسد في الروح  
'عد' في مخاض النهار

فجوة في جدار  
أو شظايا انفجار

أو دماء تخط قصيدة عشق  
على مقصله

ثم ترسم شارتها  
فوق أزمنة الغاصبين

- ٢ -

المرايا القديمة .  
ملصقة في العيون القديمة  
يا وطناً يتفجر فيه العذاب  
ويهرم أطفاله الضائعون  
على طرق الهزيمة  
يا وطناً أثقلته الجريمة  
فتهالك تحت جراح الجريمة  
ها هو ذا الجيل  
يسقط في قدر الجيل

والآخرون هم الآخرون  
انتفض مرة بالارادة والفعل  
كن كلمة في كتاب الحقيقة  
كن حجرا في جدار الجنون  
انظر .. انظر  
لقد صبغوا وجهك العربي ..  
غدوت المهرج في حفلة القابضين على النصر ..  
والقادرين على الكبرياء  
انظر .. انظر  
لقد صلبوك على صخرة الانحناء  
انظر .. انظر ..  
فما فتئت ذاتك الأبدية  
تكتب قائمة الشهداء

آه .. يا وطني  
لكأنك ، والموت والضحكات الدميمة  
حولك ، لم تتشع بالحضارة يوما ،  
ولم تلد الشمس والأنبياء

- ٣ -

لم أكن غير صوت  
حين فاجاني ..  
وتداخلت في الموت  
وعرفت اكتمال السكوت  
ولذا لن أموت  
سأصير حديقة نار  
تخلق أطيّارها في زوايا البيوت  
وأعري الوجوه التي

أعشب العار فيها ..  
فأضحت خرائب معشبة  
وأعري السطور المهانه  
والضعف بالضعف منفعلا  
وأعري الخيانه  
نائمةً ، كملك عميق الطهارة ،  
فوق سرير الخيانه

— ٤ —

حيث يحلم من صبغوا وجهك العربي ..  
ومن قتلوني  
انهم قتلوني  
أتمرّد فيك على الموت يا وطني  
جاعلا منه سيفي

وقنبِلتي  
وشهادة جيلي الطعين  
وأعود أقاتل باسمك  
في ظلمات السكوت  
لأُعلم من قتلوني  
انني وطن لا يموت !

طرباى  
كتب اسمه ورجل

الآن موعدنا ..

وأرضك لم تزل عطشى ..

سيشتعل المساء بهم ..

ويحتقن الهواء

وتموج أعمدة السماء

الغاصبون ..

لطالما اشتعلتْ عليهم مقلتي

الآن .. لن يتقدموا ..

— من أنت ؟

— مكتوب على جدران لبنان القديم اسمي

أنا طرباي  
مكتوب على أحجار هذي الأرض  
تسكنني ، وأسكنها ..  
فنحن اثنان ، متحدان  
عبر دمائها ودماي  
من أنتم ؟  
لماذا تصخبون ؟  
كان أرضي أرضكم ..  
لن تعرفوا معنى هواي ..  
لها ..  
لن تعرفوا معنى هواي ..

— ٢ —

الليلة الزيتون ، يبدو في تألقه الحزين ..

كان ثمة عاشقا متألّقا فيه  
نشوان ، ينشره ويطـويه  
هذا المتوج بالسنا الأبدى ..  
أفديه ..

.. ويفيق كالمأخوذ من أحلامه  
متسترا في سره المفضوح  
يا عاشق الزيتون ..  
مثلك في الهوى طرباي  
يحمل قلبه المجروح  
والوجد يقتله ويحييه

— ٣ —

يا عاشق الزيتون ..  
يا بهو الاساطير العجيبة ..

والمرايا الخضر ..

ها آنذا وحيد ، والدجى العربي

فوق مقابر الشهداء يستلقي ..

الدجى يرخي بقايا ثوبه فوق

تعالوا كلكم ..

وضعوا مدائنكم ورائي

ولاكن درعاً لكم ..

« لن يفلت الأعداء والمتآمرون »

« عرفتهم ، وسيقهرون »

« وسوف تسحقهم خطاي »

حلفت ، ها آنذا وحيد ..

والرصاص عداة مثقوبة فوق ..

« اجعلوا تاريخكم وحقائب الأطفال في ظهري »

الرجال الآخرون  
هناك يا لبنان ..  
فوق سقوطهم يتساقطون  
وأنت في ظهري  
وألف قذيفة حولي ..  
وأدخنة الحرائق والحرائب ، والجنون  
تعانقوا ، فلسوف أصبح دونكم ..  
سوراً حديدا ، وصاعقة سماويه  
والقادمون سيخرجون  
وإذا سقطت مضرّجا بدمي ..  
فسوف تقيم بين جموعكم ذكراي  
شاهدة على طرباي  
هذا الفتى القروي

## صياد الخنازير اليهوديه

— ٤ —

طرباي ، فلاح من الجنوب  
لا يعرف العار الذي يجلل المدينه  
لا يعرف السقوط بين اليأس والرجاء  
لا يعرف الخوف والانحناء  
لا يعرف ابتسامه الهوان والضعيفه  
لا يعرف الجرائد الصفراء  
وعلب « الحمراء »  
وقشرة الحضاره  
تحفي وراء سطحها  
جيلا من القذاره !

طرباي ، فلاح من الجنوب

لا يعرف القراءه

و ذات يوم عطشت بلاده ..

واستبطأ الماء

فروى عطش المحبوب

بدمه ..

ثم مضى يسأله الغفران والبراءه !

حوار قديم ..  
عن الف ليلة وليلة

بعد قليل ..

يهبط الرُّخ الإلهي على الشوارع الحزينه  
ويعقم الرجال في أروقة المدينه  
يدخل كل رجل حذاءه العتيق  
أو صندوقه الأجوف  
أو فروته المبقّعه  
أو يستحيل ضفدعه  
تقلب العيون في انبهار  
عبر فراغ الليل والنهار

\* \* \*

بعد قليل ..

يا حبيبتي التي تسكنني

أنا الذي يسكن في مدائن الرحيل

في قوافل الهجرة

في سواحل الغياب

أركل باب خيمتي ..

وأمتطي ظهر جوادي

رافعاً راية حزني وانفرادي

موغلاً في طرقات المدن القديمة

وفجأة ينتصب الموت أمامي

– سوف لن أرجع من دونك يا حبيبتي

وفجأة تنتصب الهزيمة

ويشقط الضوء ، وتبدو خوذة الحارس

- لن تمر .. أيها الغريب لن تمر  
- سوف لن أرجع من دونك يا حبيبتي  
وبينما يوصد بابه ، أخوض  
باسمك الحراس والأسوار  
والبيارق المرصعة  
وكالإله أشعل الحياة في الأشياء  
في الأضرحة الخضراء  
في الأقبية المروعة  
وأغرس النجوم في حديقة الظهيره  
من أجل أن أبصر  
نهر النيل في عينيك يا حبيبتي ..  
وأن أشم عبق النهدين والصفيره

\* \* \*

بعد قليل ، يزحف اللصوص

– ها هم أقبلوا

عرفتهم من رعدة الجنون والصخب

– رأسي تريدون ؟

– خذوه ..

فلقد أرهقني ..

أقسم باسمها الذي يسطع

في زناتي الآن ..

لقد أرهقني

هذا الذي أحمله بين يديّ دائماً

كانما أحمله بلا سبب

أرهقني

أرهقني حتى التعب !

\* \* \*

خذوه ، ان شئتم  
فالقوه على سجادة الخليفة  
أو علقوه رايةً في هودج الخليفة  
أو قطعة نادرة  
في متحف الخليفة  
أو قمرا في مخدع الخليفة  
وامضوا ، فقد أبطأتم  
عن موعد الخليفة

\* \* \*

وحيثما مضوا ..  
تحسستك في قلبي

فالفيتك مثلي  
تضحكين عجباً من غفلة الخليفة

\* \* \*

بعد قليل ..  
تتبدل وردة الشمس  
على حوائط النهار  
ويسقط المجنون شهريار  
فوق سرير شهرزاد جسداً  
وينتهي الحوار

فلییق وجھک  
مشتعلہ بالجمال

.. وتدورين في جسدي  
غابة من عيون بدائية الرغبات

تدورين في جسدي  
أنا أعرف هذي العيون  
التي تتعانق فيها الهزيمة والنصر  
يتحد الله والموت

في مجدها الأبدي الحزين  
أنا أعرف هذي العيون  
التي تتمرغ في سفحها قسوتي  
وتسيل بحار حنيني

أنا أعرفها

كانت الأرض عذراء

والفجر لم يشتعل بعد..

فليبق وجهك مشتعلا بالجمال

أشتعل أبداً بالجمال

أشتعل مثلها أيها الغجري المغني

.. الطواحين فارغة

والزوابع مدفونة في بطون الرمال

والرجال

معلقة من صفائرها

والسنابل مثقلة بالأسى والحنين

وأنا فيك سنبلة ، فاذكّرني !

— ٢ —

كان حبك مرتسماً فوق وجهي  
الشذى في فمي  
والرؤى في عيوني  
ولذا حيناً أبصروني  
أبصرونا معاً

— ٣ —

كان صوتك يهدر ملء، سكوني  
يسكنني ، ويرسع صمتي  
فإذا مرة سألوني  
تخالط صوتي وصوتك في سمعهم  
فأشاروا إلينا معاً

وهتفت : اذكريني ..  
وأنصتُ عبر حصار الزمان ،  
وعبر سياج المكان  
.. ستنتفتح الآن نافذة في حديقتهـا  
وتضيء السماء يدانُ  
وتنبت في فمها دمعتان  
ويكتم في بهوها المرمرى  
تهدج أنفاسه شمعدان  
اذكريني ..  
فقد نلتقي ..  
وتمر عصور السقوط

أحبك

سوف تمر عصور السقوط

وها نحن ذا نلتقي

وتعيشين في جسدي

مثلاً عشت

أنت التي عصفت أمس بي

وهي تعصف بي اليوم

أنت التي انغرست فجأة

في سنيي ..

صنوبرة ، أرزة ..

يا صنوبرة جذعها بين عيني مختبئ ..

غربة أنا تحت العواصف والثلج

فاخضوضري وطناً في دمي

وأسكني قمرأ في جبيني  
وغداً حين ترسمني سفن الريح والبحر ..  
فوق مداخنها ..  
فاعلمي انه قدر الريح والبحر  
وابتسمي  
يا صنوبرتي  
واذكريني !

الوصايا القديمة

يومها كانت الشمس  
مذبوحة في دمي  
وأنا أتقاطر نشوان بالحزن  
فوق الطريق  
انظريني  
أنا ملك الغربة المتقاطر بالحزن  
فوق تراب الطريق !

\* \* \*

البلاد التي أمطرت أنجما  
وهي تغزل أردية الساقطين

بلادي

سَيَّجَتْ تَارِيخَهَا بِجَفْـوَنِي

وَأَشْعَلَتْ رُوحِي مَبْخَرَةً

وَتَقَوَّسَتْ أَذْرَعَةً

وَأَبْتَهَلَتْ إِلَيْهَا

— أَرْجِعِي يَا بِلَادِي .. أَرْجِعِي

أَنَّهُمْ يَحْمِلُونَ الْجَسَائِزَ وَالْمَوْتَ فِي دَمِهِمْ

يَكْتُبُونَ الْوَصَايَا الْقَدِيمَةَ

فِي فَجَواتِ الْعَيُونِ

أَنَّهُمْ مَيِّتُونَ

— أَرْجِعِي

أَهْ لَوْ لَمْ يُعِيدْكَ الصَّدَى

أَهْ لَوْ لَمْ يُعِيدْكَ الصَّدَى

آه ..

وأختبأت في الضباب بلادي

وتغربت في شفتيها

تغربت في مقلتيها

تغربت بين يديها

.. وأركض بالريح والموج

ثم أعود إليها

— البلاد بلادي

فلماذا إذن يولد الموت

في كل أغنية في بلادي

ولماذا قباب النبيين والشهداء

مجللة بالسواد !

ولماذا تجوع المحارث

\* \* \*

لماذا تظلمين أجمل ؟  
ياخذني النهر المتدفق منك إليا

تظلمين أجمل في مقلتي  
أنا الطائر الأبدى ..

الذي تتغنى به المدن النائيات  
الذي تتماوج فيه الموانئ والسفن الضائعات  
لماذا تظلمين أنت الشهادة والغيب ..

أنت النبوءة والشعر ..  
أنت هي الأرض والذكريات !

لماذا؟

لماذا؟

لماذا؟

\* \* \*

تقولين أنت ..

ويفجؤني السرُّ

أسقط في خرس الأرض

أسقط كالأرض

تحتلني كبرياء الهزيمة

- هل أنت في جسدي كبرياء الهزيمة

تثقب كل حوافرهم في عظامي

- هل أنت كل حوافرهم في عظامي

هل أنت درب غيابي ؟

شمس حضوري ؟

لون أشتهالي ؟

سيف أنتقامي؟

أواه .. لو كنت أعرف من أنت ؟

يا نُصْبًا رائعا من حطام البطولة

يا شققاً من عيون التواييت ؟

يا وجه قديسة من رُخام !

ليس إلا الرحيل

غرقت في رمال الصحارى القوائم  
واختلطت أوجهه السابله  
والهوى قافله  
وأنا سيد القافلـه

\* \* \*

عندما غسلتني المحبة ..  
أبصرت في وجهها الله  
حدقت في مقلتيه المفرغتين  
من الشمس والحلم  
حتى تساقط نصف القناع

— أجيبني

أأنت هو الشمس والحلم

أم أنت عاصفة الموت ؟

يا مضحكي .. ومثير بكائي

أجيبني

وانحدرت نجمة الحزن غائصة في دمائي

وأعشبت بالموت في كبريائي

— أأنت هو القسوة الغجرية والرحمة المخجله !

أأنت هو الخنجر المتضرج في الدم

والرأس ، والمقصلة

أأنت هو الظماً اللانهائي في شفة السنبله !

أيها المتمدد في زمني ..

زمن العقم ، والثمر الفاسد

عجبا .. اننا لم نزل تتمدد في جسد واحد  
عجبا .. هجرة العشب في العشب  
والماء في النهر الراكد  
عجبا اننا بالعذاب اتحدنا معاً  
وارتحلنا معاً  
وفنينا معاً

\* \* \*

أثنا قتل الحب !  
حتى تصالب وجه الجنون ووجه الارادة في الحب  
أي الشقيين فينا ..  
الذي أعولت أرضه في خطاه  
حينما يبدت راحتاه  
على الحجر الذهبي ..

فأورقتا زهرة المستحيل

أينا .. أنا أم أنت ؟

أم أنها شهقة الروح

في ردهات العذاب الجميل

\* \* \*

علقين فوق جدائل شعرك

أوسمتي ..

وحمايل سيني

وسرج جوادي

وبقية زادي

علقين فوق الضريح

الذي كان أكبر من قدري

يوم كنتِ بلادي !

مطر الليل أغرق بيروت  
ذات القوام النحيل  
والطريق القصير  
الطريق الطويل  
ليس إلا الرحيل  
ليس إلا الرحيل !

سأُصلي له زمناً

لو توهجت فيك قليلا ..  
فلا تعجبي يا حبيبة قلبي ..  
لا تجعلي شجر الوهم يملأ كل حقولك  
إني يوما سأخبرو  
أنا مثلك أجهل ..  
كيف تغطي الثلوج عيوني  
فأحمل بالكُره كامرأة ..  
أنا مثلك أجهل  
من أين يفجؤني حجر الحب ..  
أجهل كيف أجيء

وكيف أغيب  
وكيف أحب !

\* \* \*

من أنا ؟  
النار في جبهتي الآن ..  
لا تلمسيني  
يحترق العاشقات  
لا تسأليني  
عاصفة الدم والملح  
في الفم والعين !  
لا بأس بالدم والملح  
في الفم والعين  
يا نحن

يا شبحين غريبين  
في حلم الأرض  
يا قمرين حزينين  
في فلك الموت  
أبطأتما فارحلا  
أختبأ  
أنطفأ  
اشتعلا  
أشتعلا

\* \* \*

من أنا ؟  
ابتسمي  
قبلا تكمل النار دورتها

ابتسمي  
لم يحن بعد وقت البكاء  
على الحب  
- تكمل سيدة الجنون رقصتها -  
كان جسر الجنون قصيرا ..  
وكان عميقا  
وسیغدو العذاب كبيرا  
ویغدو عميقا

\* \* \*

اسمعي  
الموت خلف سياج الحديقة يسمعنا  
سأصلي له زمنا  
فلقد كان لي وطننا

**الشاعر المعاصر والجمهور**

مثلاً يستكمل عنصر الروح ، حقيقة وجوده ،  
في وجود عنصر المادة . كذلك الشاعر الحقيقي  
والجمهور . كلاهما ضروري ، لتطوير فاعلية  
ذاته ، وتأكيد فاعلية الآخر .

فالعلاقة بينهما - الشاعر والجمهور - ذات  
طبيعة جدلية قائمة على شرط التكافؤ  
والاحتياج .

ويصعب علينا أن نتصور معنى هذه  
الطبيعة الازدواجية ، سواء في شكلها السلبي ،  
أو شكلها الايجابي ، ما لم نستطع في البداية ،

تقييم أو تحديد مستوى كل من الشاعر والجمهور.  
ان هناك جسراً ما ، من المشاعر والأفكار  
والرؤى ، لا بد أن يمتد ، وأن يظل ممتداً ، ما  
بين جانبيين ، هما : الشاعر والجمهور . المبدع في  
عطائه ، والمبدع في تلقيه ، وإلا فإن سقوط  
هذا الجسر ، معناه سقوط المشاركة الوجدانية  
الخلاقة ، في منتصف الطريق . عندئذ لا مفر لنا  
من مواجهة الحقيقة . لا مفر لنا من الإجابة على  
هذا السؤال المطروح :

– أي شاعر ؟ وأي جمهور ؟

إن الشاعر في رأيي – وأنا أعني الشاعر  
العربي المعاصر بالذات – ثلاثة أنماط :

١ – شاعر ملتزم ، واع بقضية التزامه ، ومتحد

اتحاداً كلياً ، مع قضايا شعبه . وقادر على التعبير عنها فنياً .

وأعني بعبارة « واع بقضية التزامه » أنه ليس يكفي الشاعر الملتزم ، كونه متدرجاً تحت راية حركة تقدمية ، أو جبهة سياسية وطنية ، ومن ثم يأخذ في التعبير عن شعاراتها ومبادئها . الالتزام الحقيقي ، لا يأتي إلا من الممارسة العملية واليومية الحققة ، لنضال الآخرين . كذلك ليس تكفي النصوص النظرية ، والأفكار العلمية المجردة ، لتصنع شاعراً ثورياً ، أو شاعراً واقعياً . قد تساعد على تنمية وعيه ، ولكنها لا تخلق الوعي النموذجي ، الذي يجب أن يتوفر

للشاعر المناضل ، من خلال تجربة الواقع  
المعاش .

٢ - شاعر غير ملتزم ، ولكنه يرى أن ليس  
ثمة ما يحول بينه وبين التعاطف مع أحداث  
واقعه الاجتماعي ، كلما سنحت له الفرصة ، أو  
ربما كلما حـلـا له ، أن يعلق على صدره ، وسام  
الانتماء إلى قضايا الجماهير .

ومن تحت عباءة هذا النمط من الشعراء ،  
يخرج عادة ، الشعراء الانهزاميون ، الذين  
يتطلعون إلى حركة الجماهير ، من شرفات ذواتهم  
ومصالحهم .

ويخرج الشعراء الانتهازيون ، الذين يجعلون  
من تعاطفهم الشعري مع الجماهير ، سلعا تجارية ،

يطرحونها لمساومة القوى المضادة ، ومن ثم يتقاضون ثمن السكوت .

٣ - والشاعر الأخير ، يرى أن ذاتيته كفتان . وأن عالمه الشعري الجمالي الخاص ، ينبغي أن يتطهر تماماً ، من أية دؤثرات أو عوامل مطروحة عليه من الخارج ، فالشعر عنده ، مخلوق سماوي يعقد قدسيته وبهاءه ، إذا لامسته مشاغل الحياة اليومية ، أو اهتمامات الناس العاديين .

إن هذا الشاعر العربي المعاصر ، ملتزماً واقعياً كان ، أو غير ملتزم في أغلب الأحيان ، أو ذاتياً محض الذاتية - هذا الشاعر منتم بشكل أو آخر ، إلى وجود هذه الأمة ، وإلى نضالها

المصري ، وإلى واقعها المأساوي المعاش . أكثر  
من ذلك ، انه منتم اجتماعياً ، إلى قاعدتها الانسانية  
العريضة ، وإلى جماهيرها العاملة ، انه في  
تركيبها الاجتماعي المعقد ، منتم إلى الطبقة المتقدمة .

واذن فإن مسألة الانتماء الاجتماعي وحدها ، لا  
تكفي لكي يصبح الشاعر أو الفنان ، شاعراً أو  
فناناً واقعياً . إنما جوهر الانتماء وحقيقته ، أن  
تتكون لديه ، القناعة بالانتماء ، عن طريق  
التجربة العملية ، وممارسة الاحساس به .

وهنا يتبلور شرط الشاعر الملتزم ، وتؤكد  
شخصيته ، وهنا أيضاً تتسع المسافة بينه وبين  
النمطين الآخرين ، اللذين أشرنا اليهما ، من أنماط  
الشاعر العربي المعاصر .

لا تصبح قط ، تجربة ذاتية صرفة ، أو  
تجربة اجتماعية مستعارة من الخارج . إنما تكون  
التجربة الانسانية الشمولية ، حين تتحد ذات  
الفرد بذات الجموع . حين تتلاشى الذات الجزء  
في الذات الكل ، ثم يتجسدان معاً ، في تشكيلات  
إيقاعية غنائية ، أو ملحمية ، أو درامية غير  
مسيبقة .

تلك هي تجربة الشاعر الواقعي ، أو الشاعر  
الثوري - كما أفهمها ، في أعمال بابـلو نيرودا  
ونازم حكمت ، وبرشت وأراجون .

بقي أن نحاول استكمال شكل هذه المحاولة ،  
بتناول الجانب الآخر ، من جانبي القضية ، وهو  
الجمهور .

إن انتقال الانسان العربي ، من واقعه القديم إلى  
واقعه الجديد ، من واقع الركود الاجتماعي ،  
والاستسلام الغيبي ، الذي تتحكم فيه إرادة  
التقاليد ، إلى واقع التناقضات الفكرية ،  
والاضطرابات الاجتماعية ، الذي تحركه إرادة  
التحول والتغيير .

هذا الانتقال التاريخي - على أهميته - كان  
بمجرد دلالة تومىء ، إلى أن هذا الانسان ، أصبح  
يمتلك القدرة على تجاوز كل تراكمات ماضيه ،  
وبعضها انغلاق آفاق طموحاته ، وتحنيط  
طاقاته الإبداعية ، داخل أطر وقوالب معينة .  
لقد تراكت وترسبت على روح وجسد إنساننا

العربي المعذب المحاصر ، مخلفات أجيال كاملة ،  
من معطيات الفن والفكر الاستعماري ، ومن  
إسقاطات عصور العبودية والاضطهاد ومن  
الإحساسات البورجوازية المريضة ، والشعارات  
الثورية المسروقة والزائفة ، والجوفاء ، جميعها  
انحدرت اليه ، مع انهيارات شعراء المذائح ،  
وتشنجات فناني ومهرجي السلطة ، وتأوهات  
سماسرة العواطف ، ومحترفي الرقص على الحبال.

وإذا كان ذلك ، بعض ميراثه النفسي  
والوجداني ، في الماضي البعيد ، فإن ماضيه  
حافل بما يضاعف من آثار تلك المهزلة المأساة  
إن الإفرازات السامة ، التي تتجشأ بها طوال

ساعات الليل والنهار ، مؤسسات وأجهزة  
الإعلام والتثقيف المضاد ، لوعي ووجدانات  
ال جماهير العربية ، قد تركت انعكاساتها على كافة  
مستويات الوعي والإدراك لهذه الجماهير ، ودرجة  
تذوقها وإحساسها الفطري الخاص :

إن غياب الجماهير العربية ، إلى ما قبل  
حزيران ، عن ساحة النضال الثوري ، الهادف  
إلى تحسين شروط حياتها ، وتغيير ظروف  
واقعها ، لم يثمر قط ، على الصعيد العسكري -  
هزيمة الخامس من حزيران . وإنما أثر - على  
الصعيد السياسي ، إفلاس القيادات المرحلية ،  
وعلى الصعيد الإعلامي ، فشل النظرية العربية

التقليدية ، وعلى الصعيد الاجتماعي ، اضطراب  
شخصية الإنسان العربي ، وانعدام ثقته في نفسه ،  
وفاعليته الاجتماعية الخلاقة .

أية مسؤولية ضخمة ، ملقاة على عاتق  
الشاعر الثوري ، والمثقف الشريف ، والفنان  
العربي الملتزم .. إذن ؟

إن الجماهير هي مصدر طاقة الفن والفكر  
والحياة والتاريخ وهي تيارات نهر الإنسانية  
العظيم الذي لا يتوقف .

انه ما من شاعر إنساني ، أو واقعي  
حقيقي ، إلا وجاءت بدايته من هذا المنطلق :  
ضرورة استلهام الجمهور ، وإلهامه في نفس  
الوقت .

ضرورة إضاءة وجدان الفنان بما يقبسه  
منه ، وفي نفس الوقت ، يكون هو القبس الذي  
يضيء للجماهير الطريق .. أية صعوبة يواجهها  
الشاعر الملتزم ، في تحقيق وجمع هذين الشرطين  
المتناقضين ؟ أن يكون فناناً وقائداً ثورياً في آن  
واحد . أن تتوفر لمعطياته ، عناصر الجمال  
والحيوية والإبداع ، حتى يكون الفن . وعناصر  
الواقعية والإنسانية والثورة ، حتى تكون  
الرسالة .

إن شمس الرومانسية الحاملة قد غربت مع  
غروب القرن التاسع عشر ، ومن قبلها غربت  
شمس العصور الكلاسيكية والبرناسية والرمزية  
في الشعر ، والفن ، والفلسفة ، والمجتمع ، ولم

يعد أمام الشاعر المعاصر ، إلا أن يختار :  
إما أن يكون ممثلاً مرفوضاً ومنتقداً ،  
لامبراطورية الماضي في جمهورية الحاضر ، أو أن  
يكون ممثلاً لصراعات الحاضر ، في انتصارات  
المستقبل .

# أحزان افريقيا

«سولارا»

## الشخصيات الافريقية

نازاكي	المغني غير المرثي ( يرمز لروح الماساة )
سولارا	الجارية العاشقة
بوكمان	قائد ثورة العبيد في الجزيرة وخادم توربان
دينج	شقيق سولارا
سافو	عبد في القافلة
العراقة	عجوز افريقية تقرأ الغيب

## الشخصيات الاوروبية

شارلي	} تجار رقيق
ادجار	
ستانلي	
مارك	قائد سفينة
توماس	حاكم القلعة
الجنرال	حاكم جزيرة هاييتي
توربان	أحد الملاك

حرس / نساء / عبيد  
بحارة / جموع مختلفة

---

زمن المسرحية أواخر القرن الثامن عشر  
مكانها غرب افريقيا. عرض البحر. جزيرة هاييتي

# الفصل الأول

## المشهد الأول

( ممر صخري شديد الانحدار .. السكون والوحشة يخيان  
على اشجار الغابة الكثيفة التي يتسلل خلالها الممر سحب قاتمة  
جامدة تغطي الافق ..

الوقت ليل محتقن ..

( يخترق الصمت المقدس اصدااء خطى ( نازاكي ) المغني غير  
المرئي قادماً من بعيد .. في خلفية المسرح اطلال قلعة عتيقة ..  
كل شيء هناك يوحي بغرابة المشهد .. )

نازاكي : عودوا أنى كنتم ..

غرباء كما أنتم ..

فقراء كما أنتم ..

يا احبابي الموتى عودوا  
حتى لو كنتم قد متم

كورس الموتى : صمتا .. صمتا من هذا الطارق أبواب الموتى ؟

يا هذا الطارق ، من انت ؟ من انت ؟  
أتكون الريح تحرك فوق الارض قوائها  
البيضاء

ما شأنك ايتها الريح العرجاء بنا ؟  
ما شأن الريح  
ما شأن الريح ..  
أتكون الشمس المشدودة  
سقطت في قاع الكون  
أيمكن الكون ؟  
ايكون الكون .

نازاكي

: فقراء كما انتم

غرباء كما انتم ..

عودوا يا احبابي الموتى

حتى لو كنتم قد متم ..

كورس الموتى : ايكون العالم ؟

لم يوقظ عالمنا هذا العالم

ماذا ينبغي منا

يستجدي موتى مشنوقين

يستجدي موتى منفيين

يستجدي موتى مجلودين

لم يبق لدينا ما نعطيه

اعطيناه دمننا .

اعطينا حتى اعظمنا

وجماجمنا ..

ومضينا مقهورين

لا نملك الا بعض تراب من ماضيه ..

نازاكي

: فقراء كما انتم

غرباء كما انتم

عودوا يا أحبابي الموتى  
حتى لو كنتم قد متم ..

كورس الموتى : كانت حيتان النهر

تلوح خلال النهر  
نجوماً من فضة

وطيور الكركي البضة  
تتنقل عبر الاعشاب الخضراء  
وصبايا القرية يوقدن النيران  
وبضعة اطفال في الماء  
وتلوت احشاء الغابة  
صرخت فجأة  
واصفرت اشجار الغابة  
هرمت فجأة

وتعالت راقصة نار القرصان  
وتساقطنا قتلى ..

وتساقطنا جرحى

وتساقطنا اسرى

ورأينا حينئذ وجه السجان

كانت دنيا من أحزان  
يا هذا الطارق أبواب الموتى  
ضوضاءك تفرزنا  
وتقض مضاجعنا ..  
فارجع لا تفجعنا  
لا تحرمنا النسيان

نازاكي : يا احبابي الفقراء

يا احبابي الغرباء  
كنتم أبداً عظماء

كورس الموتى : ( ضجة )

يدعونا كي نرجع  
يا وابور الاعمى .. يا كافور الاقرع  
يا دودو .. يا مرسال .. أو تسمع .. أو  
تسمع ؟

قد كنت عظيما حتى في الاغلال

( أصوات مختلطة .. ليست بضحك .. ولا بكاء .. زحف  
أقدام وسلاسل وسياط - طبول حزينة تدق ببطء .. )

« أغنية الغربية الاولى »

دميت أيدينا .. أرجلنا

لكننا سوف نسير ..

ومياه النهر تسير ..

وشمس الافق تسير ..

وتراب الارض يسير ..

فوداعاً يا افريقيا ..

يا رمحي المكسور

يا افريقيا .. يا كوخى المهجور

يا افريقيا يا وجهي المدعور

سأكون بعيداً عنك .. بعيداً عنك .

وتنتصب الاسوار

ما بين خطاي وبينك .. يا افريقيا ..

وتطول الاسفار

لكنك حتى طعم الخنجر

حتى طعم العار ..  
في قلبي .. في عيني ..  
يا افريقيا المفقودة .. ليل نهار  
ونظّل نسير ...  
ومياه النهر تسير  
وشمس الافق تسير  
وتراب الارض يسير  
فوداعاً يا افريقيا .. يا افريقيا ..

( تبدأ القافلة الحزينة الظهور على خشبة المسرح .. العبيد  
مغلولون في المقدمة .. النحاسون في المؤخرة .. الحرس لا يكفون  
عن الحركة .. تلوح أسوار القلعة على بعد .. )

شارلي : لاحت أسوار القلعة ..

فاسبقنا بحصانك يا ادجار  
لحظات تحت القبط الاحمر  
ثم تمر القافلة التسعون

ونجتاز الاسوار

ادجار : الصمت له انياب سود وأظافر

هذا الصمت الكافر ..

يدميني .. يخنقني ..

لا تنس سلاحك ..

راقبهم .. ان عبيدك يلتفتون ..

ماذا ينوون ؟

( تحدث حركة داخل القافلة )

انظر هذا العبد المجنون

يتعلم في استكبار ..

شارلي : لا تمض بعيداً يا ادجار ..

( أحد العبيد يخرج عن القافلة محاولاً الهرب )

عجباً .. كسر الاغلال

يريد يفر ..

ابن السوداء ( طلقات رصاص )

سافو : ( العبد ساقط على مقربة )

لا يا هذا القرصان الابيض  
لن أمضي ..

لن تخرجني منها .. فاقتلني .. أو اقتلك الان  
اقتلني في أرضي ..

( يزحف تجاه شارلي والدم ينزف منه .. متحدياً )

شارلي : جن الملعون .. اقتله

( رصاصات طائشة )

سافو : اغرسني في أرضي بذرة

اسقطني في فمها قطرة

انثري فوق روابيها ورقة

شارلي : يا ادجار اقتله .. واقطع عنقه ..

ادجار : قد أفسدت العبد الشفقة

خذ .. ( طلقة أخيرة في المقتل )

سافو : ( متحشرجاً )

لعنة اجدادي ستطاردكم

: خذها . . ( اضطراب في القافلة )

ادجار

: عبثا ( تظل عيناه مفتوحتين رغم موته )

سافو

( يقترب شارلي منه في خوف ويدفعه بقدمه )

: هذا الثور الجبار

شارلي

انهار ..

أترى عينيه الجاحظتين ..

كلؤلؤتين

اللؤلؤ يبرق يا ادجار ( يلتفت ناحية العبيد

المتذمرين )

في حدقات الاعين .. كل الاعين ..

( في هسترية )

قد جنوا

لا توقف نارك

( سياط وطلقات رصاص . . تنتظم . . القافلة .

يتحول الضجيج شيئا فشيئا الى اصداء من اغنية الغربية الاولى ) .

ستانلي

: ها نحن بلغنا القلعة  
ذات الاسوار الصدئة  
فانسوا من أنتم ؟

وانسوا ماذا كنتم .. ( يبدءون في الدخول

شارلي

: أفلا احصيت عبيدك يا ستانلي

ستانلي

: خمس .. خمسون .. مائة .

مائتان .. ثلاث مئات .. تسعمائة

ادجار

: ( وهو يساعد في دفع عبيد المؤخرة لكي  
يسرعوا بالدخول )

لا جدوى .. لا جدوى ..

لن تجديكم احلامكم المحرقاء

شارلي

: وغداً سترون هاييتي « أرض الحرية »

ادجار

: ( من الداخل )

لا تصطنعوا الاعياء

فلسوف تكون لكم كل الاوطان سواء

سترون نوايانا الانسانية

( تكون القافلة قد توارت داخل القلعة في  
الخارج بعض الحراس ) .

شارلي : ( الى حارس ) اقفل أبواب القلعة ..

ادجار : أخذ الحراس اماكنهم في أعلى البرج ( الى

حارس ) احرق بعض الاحطاب ..

أتعرف يا شارلي .. وأضفنا يوماً للتاريخ ..

وكان الموج يغني في السرداب ..

ستانلي : واغلقنا باب القلعة ..

شارلي : ( راقصا ) في الخامس من ديسمبر .. في

الساعات الاولى من يوم الجمعة ..

ثم اجتزنا بوابتها الكبرى ..

## المشهد الثاني

( داخل القلعة . . يرى جانب من اسوارها العتيقة .  
احد ابراج الحراسة يبدو بوضوح . . . تتدلى من فتحته ثلاثة  
اعلام قديمة . انجليزية - وفرنسية - وبرتغالية ) . .

( في الزاوية الداخلية المرئية من السور مصابيح غازية  
معلقة . . ظلالها صفراء تتأرجح . . في منتصف المسرح  
مصطبة يصعد اليها الداخلون ذات درجتين . . مائدة شراب  
ضخمة تتوسط المكان . . أكواب وقناني مصفوفة . . الى يمين  
المسرح ممر ضيق تنعكس من خلال فوهته تحركات العبيد . . بما  
يوحي للمشاهد أنهم هناك . . الى الشمال زقاق قذر . . حين  
يرتفع الستار نسمع اصوات القادمين في طريقهم الى المائدة . . )

شارلي : ( يدخل راقصا )

الصائد عاد وجعبته ملى وسفينته تتراقص  
في الميناء فلنشرب .. ولنطرب .. ولنرقص  
كيف نشاء .

رقصا .. وغناء .. حتى الفجر  
الليلة نحن ملوك القرن التاسع عشر

كورس العبيد : ( يردد نفس المقطع .. )

شارلي : يا ماري لا تأتي ..

( يقلد في المقطع التالي صوت زوجته في حوار  
سابق ) خذني لا تأتي .. فالترحال يتطلب  
بعض المال . وانا لا املك في هذي الدنيا الا  
السروال .. ربكت ماري .. وبكيت .  
وتصافحنا واتيت .. وعلى كتفي جوال فاذا  
انا عال العال .. والجنة في افريقيا تهمس لي  
وتقول تعال .

كورس العبيد : يردد المقطع الاول

شارلي : والآن ترى ماذا ستقول اوربا حين اعود

ماري ستقول اشتقت الى عينك وانت بعيد..  
وتقبلني مرات

في الشارع او في البيت ..  
لاري كم كانت مخلصه لخيالي .. منذ نأيت ..  
يا ماري عفواً .

لكني يوماً لسواك سعت ..  
فلنشرب ولنطرب .. ولنرقص كيف نشاء

كورس العبيد : ( نفس المقطع )

شارلي : عفواً .. لم تكتمل القصة ..

كورس العبيد : حدثنا يا ملك الغابة .. عن آخر اسعار  
البورصة .

شارلي : عن آخر اسعار البورصة ؟

ادجار : لم تشرب حتى اللحظة نخب سيادتنا .  
نخب الرجل الابيض .

يشربون متعانقين في حركة دائرية

شارلي : الاول حين انقض

والآخر حين انقض

كورس العبيد : فلنشرب .. ولنطرب ..

( مع الايقاعات الاخيرة للاغنية ، تأخذ  
المصابيح المضيئة في الانطفاء واحدة واحدة ..  
حتى تتلاشى الاثنان معاً ( الاضواء وصدى  
الاغنية ) كأن شيئاً سيقع .. فجأة تشتعل  
شمعة معلقة على باب الممر المخصص للعبيد ويأتي  
بطيئاً باكياً من داخله صوت سولارا الجارية ..  
تغني )

سولارا : كالسحب تأتون .. كالريح تمضونا  
يا ايها الحيرى اين تروحونا  
وهل تعودونا ..

كورس العبيد : ( يردد نفس المقطع في خمول وانكسار )

سولارا : ستحزن الامطار وتنحني الاشجار  
وتبطيء الانهار .. لانكم لن ترجعوا  
وكل شيء حولكم .. يخبرني بأنكم لن ترجعوا

احد الافراد : يا قاربي الذي ربطته إلى الصخور

كورس العبيد : ربما لن اعود ..

سولارا : لانكم كالسحب تأتونا ..  
وفي جناح الروح تمضونا ..  
سكرى تغنونا ..  
حيرى تنوحونا ..  
ولا تعودونا ..

( كورس العبيد ينشد جزءاً من المقطع السابق .. تقطعه  
ضحكات هيسيرية تنفجر بها فجأة افواه التجار المشدوهين الذين  
كانوا قد جمدوا كالتماثيل .. ببطء يتحركون كالتماثيل تجاه ممر  
العبيد .. الشمعة الموقدة على بابه تنطفئ فجأة ) .

ادجار : كانوا يغنون ..

شارلي : ( صائحاً ) اسكتوا ..

ائتوني بتلك الجارية  
لاجلدها بهذا السيف وهي عارية

كورس العبيد : ( ما يزالون داخل الممر )

يجلدها بالسيف كيف  
يجلدها ؟

ادجار : ( معترضاً ) .. بالسيف كيف ؟

شارلي : هكذا .. ( ترى الجارية خارجة من الممر  
مقلولة ) يتجه شارلي نحوها شاهراً سيفه .

ادجار : ( غاضباً ) دعها فليست بعض ما تملكه ..

شارلي : املكها ..

ادجار : املكها انا ..

شارلي : ( مغيضاً ) قلت ابتعد ( مهدداً )

لو اقتربت خطوة ..

ادجار : ( مستنكراً ) تقتلني ..

شارلي : ( مندفعاً نحوه ) سأقتلك .. ( يتشابكان في

معركة بالسيوف ) .

كورس التجار : الرجلان الابيضان يقتتلان

كورس العبيد : كأن افعواناً حول افعوان

كورس التجار : السيدان الابيضان

كورس العبيد : ايها سينتصر ..

كورس التجار : اقواما سينتصر ..

كورس العبيد : يقتتلان

ايها سينتصر ..

( تتداخل اصوات المجموعتين .. تكون  
مجموعة العبيد قد اكتمل ظهورها على خشبة  
المسرح .. ينطلق صوت نغير )

حارس : ( مهرولا ) الحاكم  
الحاكم جاء

توماس : ( يتقدم مقتحماً ) ما الذي يدور ها هنا  
( نحوها ) قفا قفا قلت قفا ( يقف بينهما )  
ضعا السيوف جانباً

ادجار : يزعم انها له ..

توماس : لا تقضبا ..

شارلي : لكنها جاريقي ..

ادجار : كذبت بل جاريقي ..

شارلي : انا ..

ادجار : انا ..

توماس : انتظر .. سوف نرى .. ( يتأملها ) ما اسمك؟

سولارا : سولارا ..

كورس العبيد : مكسوة ناراً ..

توماس : ( في دهشة ) حسناء زنجية شبة سماوية .

كورس العبيد : اكرمتا دارا ..

توماس : السحر في ليلة . . الموت في قبلة ..

كورس العبيد : لم تعرف العارا ..

توماس : ( لنفسه ) يا قلب توماس اتئد ..

تفضحني لا ترتعد ..

كانما يغسلني بحر نعاس ..

كورس العبيد : يا حاكم القلعة يا توماس ..

هناك نحت غابة الكاكاو ..

كنز ماس ..

كورس التجار : ماذا يقولون؟

كورس العبيد : وفضة وقصر من نحاس

سوف ندلكم عليه

سيروا جميعاً اليه

اغتصبوه

وخذوه ...

ودعوها فهي ليست لأحد

شارلي : ( شاكياً ) يا حاكم القلعة ..  
توماس : كم دفعت فيها ؟  
شارلي : قطعتين واريد اربعة  
فان يردها تركتها له  
وان ابي فاني سيدها معه ..

توماس : ( لادجار )  
ماذا ترى ؟

ادجار : قبلت ..

شارلي : يا سيدها ..

كورس التجار : ( يرفعون كؤوسهم )  
نخبك يا سيدها ..

توماس : امض اذا شئت بها  
( يخرج ادجار وراءه سولارا مغلولة مطرقة  
الرأس )

كورس العبيد : ( في انكسار ) ها هو ذا يمضي بها

توماس : جميلة كأن روح امرأة  
بيضاء في اهاياها ..

كورس العبيد : هل ستقتلونه ؟

شارلي : ( صارخاً ) ابعادوا

كورس العبيد : لا تقربوه ..

ستستحم الغابة الميتة ..

بالدماء ان لمستموه ..

حارس : ( يهوي عليهم بسوطه )

لا تتغابوا افسحوا الطريق .

كورس التجار : افسحوا الطريق

كورس العبيد . اين تأخذونه ..

شارلي : اخرسوا

كورس العبيد : ( يتراجعون ) اصبح وجه الموت والسياط

دونه .

( يتوسط دينج الحلقة .. في السادسة عشر من عمره عارياً

الا من خرقة بالية في وسطه )

توماس : ( يتأمله ضاحكاً )

مراقتي ما زال

شارلي : نصف آدمي .. هل لك اسم

كورس التجار: اسمه العبد

كورس العبيد: اسمه دينج .

شارلي : تكلم ..

يا ايها الاخرس كالظامة ..

عيناك ..

تقولان كثيراً

( يهزه بغضب )

لا تزدني غضباً ..

كورس التجار: اضحك .. تبسم او

تألم ..

كورس العبيد: ليس بخائف .. وليس ابكم

لكنه لن يتكلم ..

شارلي : ( يجلده بسوطه )

سوف ترى اذن

لعل صوته يزحف في دمك

يحفر مجراه الى فمك ..

( دينج يقع على ركبتيه .. يظل متشحاً بصمته )

## كورس العبيد : ( في هياج يغني )

اغنية الصياد الصغير ..  
عند بحيرة القمر .  
تنام اطفال التاسيح مغطاة  
باوراق الشجر .  
ومن بعيد يهدر السيل  
على الصخور  
فامش ببطء يا صغير .  
امش ببطء وحذر .  
امامك انحناءة الممر

\* \* \*

ما زالت الغابة نائمة  
فامش على اصابعك .  
سحابة من الزراف قادمة ..  
يسوقها الجفاف ..  
لا تتحرك خطوة اياك ان ..  
تخاف ..

شارلي : الروح بيضاء .. ولكن ..  
الجسد ..

كورس التجار: سيدها فاز بها .  
كورس العبيد: سولارا ليست لاحد  
( صرخة تنبعث من وسط كورس العبيد .. شارلي يشير الى  
مصدر الصوت )

شارلي : تعال انت ..  
كورس العبيد : ( في فزع ) اينما تريد ..  
شارلي : ( مؤكداً على العبد دينج )  
انت ..

كورس العبيد : لن تمسوه ..  
اختبئ يا دينج ..  
شارلي : انت ..  
كورس العبيد : نحن دونه  
( يلتفون حوله في اشفاق )

حارس : ابعدوا ..  
آخر : دعوه ..

سوف تمر قرب موضعك ..

\* \* \*

شد اليك القوس مرتين ..

شده ناحية الضفاف ..

اقذف بنبلتك

بحربتك ..

اياك ان تقع

الغابة الليلة .. مالها ..

كأن شيئاً سيقع ..

\* \* \*

من اي افق يهبط الالم

هذا الضباب دم ..

ايدي الشياطين مطلة من

الكهوف ..

قرونهم صفوف ..

عيونهم مغروسة على القمم

آلهة الغابات والنهر عدم ..

الم .. الم ..

( مع انتهاء الاغنية ، يضع توماس يده على كتف شارلي ،  
ويهره برفق .. )

توماس : كفاك يا شارلي  
ورفقاً بك .. لا رفقاً به ..  
اقتله .. او ابق عليه  
فهو لك .  
لكن تذكر ايها السيد  
ان العبد ان هلك .. يخسر ..  
روحه فقط ، وانما يخسر  
ماله الذي ملك .

شارلي : جروه في اغلاله ..  
جروه ريثما يفتق ..

توماس : ( مبتعداً به )  
كأسك اين ؟

شارلي : صمته اغاظني ..

توماس : ( يناوله كأساً ) كأس نبذ طيب  
يطفيء بركان غضب ..

: صدقت ( يشرب )

شارلي

: عمر هذي الخمر الف سنة  
وسنة

توماس

: ( متوجهاً الى مجموعة التجار )  
يا للعجب ..

شارلي

ما بالكم لا تشربون ( يدخل حارس )

: ( مضطرباً ) العبد لا يريد ان يفيق ..

الحارس

: اسقوه بعض الماء ( لكورس التجار )

شارلي

اغرقوا كؤوسكم ( ضاحكاً يحنون )

ولتنتفخ بطونكم سكرًا ..

( ضوضاء )

وهذي الكأس في صحة تجار الرقيق ..

صحتنا نحن شמוש الكائنات ..

( يبدأ في الترنح سكرًا )

نحن الآلهة .. ( هياج )

نعم ألسنا آلهة ؟

ألا توافقونني ؟

( توماس يضع يده على كتفه محاولاً تهدئته )

وانت يا عزيزنا ..

يا صاحب السعادة الحاكم ..

توماس ..

بامرنا ..

نحن اقمناك هنا ..

توماس : ( بغضب ) افق .. افق ..

كورس التجار : قد اغضب الحاكم ..

شارلي : ( مترنحاً ) هل غضبت ؟

سوف نصير اغنياء .

نملك الحياة كلها .. انا وانت ..

توماس : ( لكورس التجار )

ابقوا كما انتم ( لشارلي ) ..

تعال يا شارلي معي ..

شارلي : اريد ان اقول كلمتين

كلمة واحدة .. بل كلمتين ..

توماس : ايها الحراس ( يتوافدون من ارجاء المسرح )

شارلي

: اين ذاك العبد اين ؟

( مشيراً الى كورس العبيد المنكمشين جانباً )

توماس

: ايها الحراس ..

شارلي

: ( مقاطعاً ) ادخلوا الكلاب ..

في صحتي ( يأخذ جرعة من كأسه )

وصحة الحاكم ( مشيراً إلى كورس التجار ) .

ثم انكم .. ( يكون كورس العبيد قد اختفى

داخل الممر )

شارلي

: هل دخلوا ( للحراس )

قولوا لذاك العبد ..

انني اريد ما اريد .

وانني اشتريت روحه بقطعة من النقود ..

وانني ارفض ان يموت ( يبصق تجاه الممر )

وانني اكرههم جميعهم ..

وطالما حلمت انني صنعت ..

من جلودهم ..

اشرعة تمخر بي جزائر اللؤلؤ والياقوت ..

لكنني ارفض ان يموت ..

ارفض يا توماس ان يموت ..  
ارفض ان يموت ..  
ان يموت ..  
( يسقط اعياء بين ذراعي توماس )

توماس

: ( لكورس التجار )  
افرط في الشراب ...  
( للحراس )  
احملوه خارجا ..  
( لكورس التجار )  
اعلم ان القرد والغراب يمقتاني ( ضاحكا )  
لا تقلقوا ( يخرجون بشارلي )  
لعلهم لا يخطئون الدرب فالضباب يموج في  
شوارع القلعة تأثها ..

شارلي

: ( صوت من الخارج .. مختلطا بضحكات )  
يا ايها الكلاب ..

توماس

: ما زال يهذي .

شارلي

: ( من بعيد جدا ) ايها الكلاب ..

توماس

: يحسن ان ادر كههم ..

عودوا الى شرابكم ..

( صدى من بعيد .. ينظر من الباب )

هناك .. من هناك .. ( نفس الصدى )

اقتربت .. ( صوت نفير سفينة من بعيد )

يطوف في شوارع القلعة كلها .

( يعلو صوت النفير )

ها انذا آت ( يخرج )

كورس نتجار: ( في ضوضاء ) يقول انتهت السهرة ..

احدم

: حسنا ..

آخر

: نعيدها ثانية ..

لنعد الكرة ..

( يساند بعضهم في سكر واضح .. يدورون

مغنين ) .

الصائد عاد .. وجعبته مملأى وسفينته تتراقص

في الميناء .

احدم

: ( يقف غير مميز الوجه وظهره الى زملائه في  
وضع مضحك )

يا سيداتي .. سادتي ..  
كان احتفالا رائعا .. ثم انتهينا ..

ها نحن مثلما تشاهدون .. ( يشير الى زملائه  
السكراري وهم في حركاتهم الجنونية ) بين مناظر  
شائبة مروعة .. ( يشير الى واحد منهم  
سمين )

الفيل يلقي جسمه تحت حذاء الضفدعة  
والبجعة ..

على سرير ملكها مضطجعة ..  
وقسوة المشاعر السقيمة المبقعة ..

والقيم الممزقة ..

والشهوات النزقة ..

فهكذا نحن ..

نثير سخطكم وبغضكم ..

وربما احتقاركم ..

اذا وقفنا بينكم .. بدون اقنعة ..  
فلتسمحوا لنا ..

يا سادتي الصغار والكبار ..  
لكي نوارى شهقة الضعف ..  
وذلل الانكسار ..

ان ننزل الستار ( صارخاً مهرولاً الى الداخل )  
ستار .. ستار ..

« ستار الفصل الاول »

## الفصل الثاني

## المشهد الاول

( في جانب من السفينة قمرتان متجاورتان .. التي الى يسار المسرح مظلمة تماماً . . والاخرى يتخللها ضوء خافت يكشف عن محتوياتها .. سرير ترقد فوقه سولارا نصف مغطاة .. باب القمرة مغلق من الخارج .. هناك كوة صغيرة مغلقة ايضاً . . )

سولارا : ( تتقلب في فراشها كمن يحلم حلماً مزعجاً )

ييايا .. ييايا<sup>(١)</sup>

سأرقص الليلة من اجلك يا امي .

وتغسل المياه جسدي .

---

(١) آلهة الخصوبة عند زنوج هاييتي رموزها السفن والحيوانات البحرية والخصوبة هي هنا الامومة .. وعند الافريقين ام الآلهة .. ام كل الاشياء .

وتنبت الجذور في يدي .  
فباركيني . .

انه يغمرني . . يغمرني . .  
يوشك ان يقتلني . .

يا ويلتاه . .  
آه . . .

( تهب جالسة في فزع )

الرعد يبكي في دمي . .

الرياح ملء شفتي . .

اكاد ان يغمرني علي .

لو انهم كانوا هنا . .

( تنزل من السرير )

اين هم ؟ خائفة انا . .

اين انا ؟

( تتحسس جسمها )

كان يريدني . . .

( تسترجع حواراً مفروض انه دار بينها

ادجار )

مثلك لا يوجد في المدينة  
هذا السواد العبقري زينة ..  
ثم دنا مني خطوتين .. وارتعش ..  
ومد في مذلة يده ..  
وكان في عينيه جوع وعطش ..  
اذهب اليهن فانهن اولى بك ..  
وسوف ابني لك قصرأً عالياً من الرخام  
قوته تحترق الغمام  
.. لن تبني ولن اكون لك ..  
.. وتصبحين سيدة ..  
ومن اكون الآن ؟ نصف امرأة بيضاء ..  
نصف سيدة ؟  
.. وتصبحين زوجة الملك ( تضحك )  
قف ايها الابيض .. قف ..  
انك مثلي خائف ..  
انك ترتجف ..  
انك ترتجف ..

( تضحك بوحشية )

ايتها الجارية الحمقاء ..

غير انني صارعته .. عضضته في قدمه .

وحين ضمني بصقت مرتين في فمه ..

حتى تعبت وتعب

( تلتهد )

ثم استدار في انفعال .. وذهب ..

كان يريدني ..

( اصداء من بعيد تردد سولارا )

يا اخوتي بعيدة اصواتكم ..

من اين تأتيني .. بعيدة ..

بطيئة .. كثيية . بليدة .

لكنني اسمعكم .. هل تسمعوني؟؟

اكسروا قيودكم ..

ها انذا .. ها انذا .

( تضرب باب القمرة يحنون )

يا اخوتي اسمعكم ..

لن يذهبوا بنا ..

ستغرق السفينة ..  
ليست بلادنا ..  
غابتنا هي المدينة ..  
لو تسمعوني .. اواه ..  
اني هنا سجين ..

( تدفع باب الكوة فينفرج قليلا .. يتسلسل  
شعاع من الضوء .. تسمع اصوات الكورس  
بوضوح )

( اغنية البحارة السود )  
لو سألت عنا بلادنا ..  
ولو تصايحت في اثرنا الغابات والقوافل  
فقل مقيدون في السلاسل ..  
ما بين ميت وجريح  
سجونهم ماء وريح ..  
يمايا .. يمايا . يمايا .  
نمشي ولا نمشي ..  
ندور .. والسياط حولنا تدور ..

من سأم الى سأم ..  
وجهتنا العدم ..  
يمايا .. يمايا .. يمايا ..  
كان لنا اغنية ..  
وكان ينبوعاً .. وكان داراً ..  
امس الذي توارى ..  
اواه .. يا سولارا ..  
يمايا .. سولارا .. يمايا ..

سولارا : ( بفرحة وقلق )  
ها انذا .. ها انذا ..

كورس العبيد : سولارا .. هل انت هنا ؟  
( بغضب وسخرية )  
راقدة على فراش الرجل الغريب  
الابيض الذي اهان قومها ..  
قد منحته جسمها ..  
ترقد في فراشه ..  
تأكل من طعامه ..

العار لها ..

اذلنا .. اذها ..

( بحدة )

كنا نغني لك ..

هل كنت تغنين له ..

كنا نغني لك ..

ننزف الدماء .. ونغني لك .

نشرب الدموع .. ونغني لك .

واضياع اغنياتنا ..

قتلتنا .. قتلتنا .

( بانكسار )

اذن فلم .. لم يبتلعك الموج .

كيف تكونين له .. ماذا وجدت عنده ؟

الدفء .. وماذا بعده ؟

سولارا

: ( باكية )

ماذا تقولون ؟

كورس العبيد : نسيتنا .. نسيت دينج ..

سولارا : يا دينج .. انني انا ..

كورس العبيد : انك لست انت ..

سولارا : انني هنا سجينه ..

كورس العبيد : ( في تردد )

سجينه

سولارا : سجينه ..

اسألکم يا اخوتي ..

كيف غدت من بعدنا غابتنا الحزينة ..

وشمسنا التي وراء هذه السفينة ..

كورس العبيد : سولارا عنده سجينه ..

الطفلة العذراء عنده سجينه ..

سجينه .. سجينه ..

(تتشابك الاصوات والانفعالات .. وقع

سياط وزمجرة الحراس ، سولارا تسقط

باكية .. تنغلق فتحة الكوة . يسود الظلام .

تضيء القمرة المجاورة .. نرى ادجار جالسا

على احد مقعدين قديمين مطرقاً برأسه ..

المقعد الآخر خال .. شارلي يحيى ويذهب في  
انفعال .. مارك قائد السفينة متكىء بلا  
مبالاة على جانب السرير يحشو غليونيه ..  
لحظات صمت تقطعها خطوات شارلي )

شارلي : ثلاث ليلات .. واذت ؟  
ما الذي اقول يا ادجار .. هل جننت ؟  
هل تحبها .. ؟

ادجار : احبها ..  
شارلي : ( بنخبث ) كجارية ..  
ادجار : ( يهدوء ) كامرأة ..

شارلي : ( باصرار ) كامرأة سوداء ..  
لا انكر انها وثيرة ودافئة  
( باستدراك ) او هكذا تبدو ( مقهقها ) فقد  
تظن ..

ادجار : لا اظن غير انها ..  
شارلي : ( مقاطعاً ) انتظر فكلنا نحبهن .

وربما نرقص فرحة بهن ..  
 وربما قاومنا تظاهراً وحيلة لانهن  
 يجدن ضعف شوقهن حينما نفضبهن .  
 وهن لا يجهلن انهن لسن غير ما يخفين  
 في ثيابهن ( ادجار يتململ )  
 هن جوارينا يبتن في فراشنا لاننا نريدهن ..  
 ( ساخرأ ) حتى اذا ما انطفأت روعتهن ..  
 وسقطت زهرتهن .

ادجار

: ( متضايقاً ) دعني اوضح ..

شارلي

: لا تقاطعني .. فالنساء شهوة قديمة .. وقد  
 تقبح في عيوننا التي امتلكنها ..  
 وتحمل التي لم نمتلكها بعد ..

مارك

: ( بلا مبالاة ) لو شئت فسوف احكي لكما  
 حكاية ..

كنت انا شاهدها في هذه السفينة ..  
 وكانت الشحنة التي ذكر من العبيد الاقوياء ..  
 وثمانين امرأة ..

وحسنت في ناظري جاريتان ..  
اولاهما طويلة .. ولدنة ..  
كأنها حين تسير شمعدان ..  
منتفض الالوان ..  
او بنت سلطان عظيم الشان ..  
وهي وان لم تتجاوز اثنتي عشرة سنة ..  
متزنة ..  
وذات شهقة ملونة .. ( ضحك )  
وكانت الاخرى قصيرة سمينة ..  
بطيئة كبقرة ..  
ثقيلة كجذع شجرة ( ضحك )  
وذات ليلة افقت بعد سكرة مفتخرة ..  
فلم اجد يحاني التي اتيتها ..  
هل تعلمون اين كانت حينما وجدتها .

: ( بفضول ) اين وجدتها ؟

شارلي

: في حضان امها ؟

مارك

: ومن تكون امها ؟

شارلي

- مارك : الاخرى ..
- شارلي : أتعني ان الاثنتين كانتا ضجيعتين لك ؟
- مارك : وكنت دائماً ..
- شارلي : ( مقاطعاً ) وما الذي صنعت بهما ؟
- مارك : شددت امها اليها ، ثم اغرقتها  
في الاطلسي ليلتين ..  
وحين اخرجتها .. أتعرفان كيف كانتا ؟
- شارلي : كجشتين . .
- مارك : بل بقايا جشتين ..  
( ضاحكاً ) الام مزقت وحوش البحر  
صدرها .
- شارلي : وبنتها ؟
- مارك : لم يبق منها غير عظم الرأس واليدين !  
( يضحكان - ادجار صامت )
- شارلي : ادجار ما بالك لا تضحك ..  
لا تقول اي شيء

تدفعني للظن بك ..

كأنما تخاف من شيء تقوله فترتبك ..

مارك : قل اي شيء ( ادجار يقف .. يتحرك  
كالنائم )

شارلي : ( يتابعه ) سحرته الجارية .. ( ادجار يحدث  
نفسه )

يكلم الهواء .. يضحك كلماخوذ في غباء .. في  
كبرياء يا له من كبرياء ..

ادجار : ( فجأة ) قف .. ايها الابيض ..  
لن تلمسني ..

شارلي : أكاد ان اصعق .. ادجار استحال بهلوان ..  
أسامع يا مارك ؟

مارك : ( بدهشة ) يا للداهية .. ادجار ..

شارلي : لا توقظه ..

مارك : ( بعطف ) ايها الفتى المسكين ..

شارلي : ( بحقد ) انها هيه ..

ادجار : ( مستمراً في حالته )

ومن اكون الآن ؟ نصف امرأة بيضاء؟ نصف  
سيدة !

ليس لعطرك الخرافي مثيل ..  
اذ تلبسين التاج فوق رأسك الجميل ..  
وتصبحين زوجة الملك ..  
عبدك يا سيدتي انا ..  
انا الملك .. انا الملك ..  
( يلتفت حوله .. شارلي ومارك يراقبانه )  
كأنني جننت ..

شارلي : بل سحرت ..

مارك : لا عليك منه ..

ادجار : ما الذي كنت اقله !

مارك : ( يناوله كأساً ) اليك .. لا تعباً بما قلت ..  
ابتلعها مرة واحدة ..

ادجار : هل قلت ..

شارلي : ( ساخراً ) منذ لحظة كنت جلالة الملك

( يقهقه .. ادجار يقذف بالكأس )  
 : ( برفق ) نحن صديقاك .. مارك  
 : ( ساخراً ) وما دام الملك ليس هنا .. شارلي  
 فشد قامتك ..

\* \* \*

وخذ ( ضاحكاً ) خذ راحتك ..  
 واحلم بما شئت ..

: وقل ما شئت .. مارك  
 : قل انك لم تعد كما كنت .. شارلي  
 وان تاجر الرقيق مات ..

: لقد تغيرت .. مارك  
 : تغيرت كثيراً .. شارلي  
 : ( نفس حالته ) اتركاني معها .. اريد ان  
 اتبعها .. ادجار

: ادجار مجنون بها .. مارك  
 : ادجار مات .. شارلي

( ادجار يخلع قبعته ويحني رأسه باحترام كأنما  
يستقبل شخصاً مهيباً )

**ادجار**

: ايتها المليكة المقدسة ..

اتيت ضارعاً إليك ..

تحت جلال قدميك ..

جفون عيني وسادة ..

ووجنتي سجادة ..

( شارلي ومارك يتجهان نحو الباب يفتحانه ..

تعلو من بعيد اصوات كورس العبيد )

.. سولارا .. سولارا ..

**ادجار**

: ايتها المليكة المتوجة

في عرشك العاري

مليكة الزنبق والنار

العطر والجمال والسكون

والحب حيث تكون ..

**كورس العبيد : سولارا .. سولارا ..**

( يخرج ادجار )

شارلي

: ( مصفقا بيديه في حركة يائسة )

قد ارضعته سمها

وثأرت من قلب ابيض اذل قومها . .

كورس العبيد : سولارا . . سولارا . .

مارك

: كأنما اسمها حريق يا كل السفينة . .

شارلي

: الموت للساحرة اللعينة . .

الموت للساحرة اللعينة . .

( يخرجان . . يسود الظلام . . )

ستار

## المشهد الثاني

( الوقت ليل .. جانب من سطح السفينة ..  
حركة مجاذيف واقدام تروح وتجيء ..  
ظهور ثلاثة من العبيد تبدو وتختفي في ضوء  
القمر الغارب .. )

العبد الأول : ( مشيراً الى السماء )  
السحب الضاحكة الحزينة

العبد الثاني : ( محدقاً في نفس الاتجاه )  
سوف تهب الريح ..

العبد الثالث : لن تمضي بعيداً هذه السفينة ..  
( حارس يقترب )

## الحارس

: تثرثرون الليل كله .. النهار كله ..  
يا سفلة .. يا قتلة ..  
سحقاً لكم .. الاتو جمعكم افواهكم ..  
( يهوي عليهم بسوطه )  
تزحزحوا .. استحوا ..  
اجتهدوا .. نحر كوا .. لا تشتكوا ..  
لا تقفوا .. لا تقعدوا .. لا تضحكوا ..  
سمعت كل ما تهاستم به ..  
ابتعدوا .. ابتعدوا ..  
( يستعدون متظاهرين بالعمل  
ريثاً يختفي الحارس )

## العبد الأول

: ستملاً الرياح كل الاشرعة ..  
ثم تشقها ..  
حتى تصير كالنبال ..  
وسوف تسقط الحبال ..  
مقطعة .. مقطعة ..

## العبد الثاني

: ونحن هكذا .. سواعد واذرعة ..  
ثقلها القيود والاغلال ..

العبد الثالث : ( هامساً ) يزحف بعضهم تجاهنا ..

العبد الأول : من هو !

العبد الثاني : لا تلتفتوا فقد يروننا ..

كأنه دينج .. هو الصغير دينج .. دينج

العبد الأول : اسرع ايها الصغير ..

العبد الثاني : ضعه في ظلك .

دينج : انني نذير ..

فسوف يقتلوننا ..

رأيتم يقتحمون سجنها ..

ويصرخون .

لقد سحرته .. فجئ ..

يا ايها الساحرة اللعينة ..

سحرته .. وسوف ترجعينه ..

سترجعينه ..

سترجعينه ..

وكان ادجار يهز رأسه ويبتسم .

وصرخت سولارا ..

**العبد الثالث :** ( بفجيرة ) صرخت ..  
**دينج :** ليس وراء العار موت ..  
وليس بعد الموت موت ..  
ثم مضوا مثل المجانين ..  
وعاد الصمت ..

**العبد الأول :** الحارسان يرقباننا ..  
يقتربان نحونا ..  
اعط لهم ظهرك .. واعمل مثلنا يا دينج ..  
( يقترب الحارسان )

**الحارس الأول :** ضبطتكم .. لا تنكروا ..  
ماذا تدبرون ؟

**العبد الأول :** ننظر في السماء ..  
**الحارس الثاني :** ( ساخراً ) في السماء ؟ ( يحدق )  
لا شيء سوى رقعتها الزرقاء ..  
تمتد .. وتمتد ..  
بغير حد ..

**الحارس الأول :** ( ساخراً .. ) يا ايها السادة ..  
بل يا سادتي المنجمون ..

هلا تفضلتم فقلتم بعض ما لا تجهلون  
ما كان او ما سيكون ..  
وما الذي كان وراء هذا المعبد الضافي السكون ..

الحارس الثاني: ( بتهكم ) هل تنطقون او تضربون .. ؟

العبد الأول : ( بعناد ) ذلك « اجوى <sup>(١)</sup> » ضاحب الرياح  
في موكبه الرهيب ممتطياً مركبة اللهب ..

العبد الثاني : يسوقها بنفسه ..

العبد الثالث : وخلفه وزيره المهيب ..

مفجر البروق والرعود ..

الحارس الأول: ( مرتعداً ) اخرسوا .. فانكم تخرفون ..

العبد الأول : انظر فقد تماوجت قرونها الحمراء ..

حتى سحابات السنين الواقفة ..

تحركت ..

العبد الثاني : تمشي وثيدة الخطى ..

---

(١) إله البحار ، ورموزه المجدف والسماك والقارب .

العبد الثالث : تركض . .

العبد الأول : انها تجيء ..

العبد الثاني : انها هي التي تقول ..

العبد الثالث : تلك العاصفة . .

الحارس الثاني: ( برعب ) العاصفة ( يجري )

الحارس الأول: ( مضطرباً ) وتقرأون الغيب ثم تصمتون ..

وتحملون في سكينه ..

يا ايها الكلاب ( يلوح بسوطه .. تهب الريح ..

يركض مذعوراً )

ويلكم ( صارخاً )

الحارس الثاني: عاصفة على السفينة . .

أصوات : عاصفة على السفينة ..

انزلوا المراسي

الرياح السود والسحاب . .

لفوا الاشرعة .

القوا الى المياه كل الامتعة ..

عاصفة على السفينة

عاصفة على السفينة

( ضوضاء .. صرخات مذعورة .. اقلام  
تركض في جوانب السفينة .. نلمح خلال  
الزحام شارلي ومارك يركضان في اتجاهين  
متضادين .. يتحدثان عن بعد )

: ( بينه وبين شارلي مسافة وزحام )  
لم ارقط مثل هذه الرياح الجائحة ..

مارك

: لو كنت قبطاناً ..

شارلي

: ( يخاطب شخصاً اسفل السفينة )  
تقول انكسر المجذاف .. ( ضوضاء )

مارك

: كنت شممت الرائحة ..

شارلي

: ( في حديثه الجانبي )

مارك

هذا هو الثالث ؟ ( ضوضاء )

: يحمل القباطنة

شارلي

اجهزة فوق رقابهم

- مارك : يغوص ذيلها .. ( ضوضاء )
- شارلي : ويحمل الربابنة ادمغة من الذهب ..
- مارك : في الجانب الشرقي .. ( ضوضاء )
- شارلي : لا أخشى على نفسي ..
- مارك : ثقب اي ثقب ؟ ( ضوضاء )
- شارلي : اخشى على تجارتي ..
- مارك : الحديد والخشب ( ضوضاء )
- شارلي : لو انهم فروا . .
- مارك : الصناديق ( ضوضاء )
- شارلي : خسارتي هي العطب ..
- مارك : والأسفاه ( ضوضاء )
- شارلي : والأسفاه
- مارك : امتلأ الخزان بالمياه ( ضوضاء )
- شارلي : كيف اموت قبلها ..

- مارك : سيفرقون لا محالة ( ضوضاء )
- شارلي : ( تدفعه الريح فيسقط ) النجاة ..
- مارك : ما شأننا بها ( ضوضاء )
- شارلي : ( صوت متهالك ) النجاة ..
- مارك : ليس لنا مفر ( ضوضاء )
- شارلي : ادجار .. يا ادجار انقذني ..
- مارك : انكسر .. هل انكسر ؟ ( ضوضاء )
- شارلي : ( من بعيد ) ادجار ..
- ادجار : ( من بعيد ) سولارا ..
- كورس العبيد : سولارا .. سولارا ..
- ( العاصفة تشتد )
- ( اغنية السفينة الغارقة )
- الموت والانسان والقدر الساخر
- والبحر يا ربان ليس له آخر
- فاذهب مع التيار
- وعد مع التيار

اقدار .. اقدار  
الموت في القلاع  
والرياح في القواقع  
يا سمكات القاع  
عدنا الى المنابع  
امطار امطار  
الرياح عطور  
والبرق جسور  
للنور والنار  
للنور والنار  
اجوى اجوى .. اجوى

\* \* \*

( تهدأ العاصفة رويداً رويداً .. الاصوات  
تتلاشى نهائياً - يسود صمت وظلام .  
نسمع انينا مكتوماً .. يحدد لنا موقع  
شارلي )

: ( متوها انه مات )

**شارلي**

يا رحمة الله علينا ..

نحن موتى لم نعد نملك شيئاً في يدينا ..

كانت الدنيا لنا ثم اختفت حيث اختفينا ..

( يسمع دبيب خطي مارك فيهمس لنفسه )

حارس النار اتى فلاستعد ..

( يلتقط انفاسه )

ايها الحارس لا اطمع في الجنة ..

فالجنة مثوى الصالحين ..

الشرفاء الطيبين ..

وانا كنت كما تعلم .. وغداً ابي وغد ..

كنت نخاساً وضعياً من وضع ..

وخليعاً من خليع ..

ويسوع ..

كان في مرآتي العمياء تمثالا سجيناً في كنيسة ..

للخرافات وللوهم فريسة ( يتنهد )  
يا الهي .. كم انا خجلان من وجه يسوع ..  
( مارك يكتم ضحكته .. )

مارك : تبت يا شارلي .. ؟

شارلي : ( مرتجفاً ) لقد تبت ..

مارك : وان نحن اعدناك اليها مرة ثانية ؟  
هل ستتوب ؟

شارلي : سأصلي . .

مارك : ثم ماذا ؟

شارلي : وسأغدو طيب القلب .. نظيف اليد ..

مارك : ايه .... ثم ماذا ؟

شارلي : وسأغدو مخلصاً لامرأتي ..  
( مارك يقهقه )

مارك : يا للكذوب .

انت لن تخلص الا لصفاتك ..  
وملذات حياتك ...

شارلي

: ( يفتح عينيه في دهشة )  
مارك ؟

مارك

: كم اضحككتني ..

شارلي

: منذ متى جئت .. ؟

مارك

: لقد جئنا معاً ..

شارلي

: جئنا معاً للآخرة ؟

مارك

: الآخرة .. ( يعود للضحك )

شارلي

: ألم نمت ؟ ( مارك مستمراً في الضحك )

مارك

: نمت .. لقد اقلت بنا ريح الجحيم ها هنا ..

( يتناول حفنة تراب ويدنيسها منه ) هذا

تراب الارض .. ذقه .. شمه ..

وهذه الشمس كنوز من سنا ..

شارلي

: والبؤساء السود ؟

مارك

: لن تبكيهم فالوقت فات ..

نجا القليل منهم .. والنصف مات ..

شارلي

: النصف مات .. ؟

مارك

: الريح والرعب وامواج المحيط ..

والمرض الفتاك والجوع واحلام السقوط ..

كان الذين آثروا السقوط ( يضحك

يهوون مسرعين .. مسرعين ..

يا لخسارة القيود ( شارلي يبكي )

**شارلي** : يا للمساكين انتهبوا ..

**مارك** : ( مندهشاً ) تبكي على ايهم ؟

على الذين سقطوا ..

ام الذين آثروا السقوط ..

**شارلي** : ابكي لان موت عبد واحد ..

خسارة لي .. ليس لي وحدي ..

لكل تاجر ..

وكل ابيض مغامر

وكل سيد مقامر

ابكي على العبيد ..

ابكي على القيود ..

ستار

## الفصل الثالث

## المشهد الاول

( طريق للسابلة .. على مسافة منه ينتصب كوخ قديم امامه  
جذع شجرة جافة .. الوقت غروب .. تجيء من ناحية اليمين  
فتاة صغيرة تسحب عنزة .. حين تقترب من الكوخ تمسك العنزة  
بكلتا يديها .. تنادى )

الفتاة : يا جدة .. يا جدة

العرافة : ( من الداخل )

من يدعوني

الفتاة : ضيفان على بابك

( يظهر من نفس الناحية دينج . وآخر

يعرج .. تدخل الفتاة رأسها من فتحة

الباب ) ..

ضيفان يريدانك ..

ليسا من سكان القرية

( حركة في الداخل .. احدهم يخرج  
ليلقي نظرة على الرجلين لا ينبس بكلمة ) ..  
( تومئ اليهما الفتاة فيدخلان )

العرافة

اهلا بهما

اهلا بكما ..

اهلا يا ابنائي

( ينحشران بجانب جمع من النسوة  
والرجال المجتمعين حول العرافة العجوز ..  
تتقد نار في حفرة قريبة منها )

الاعرج

: جئنا

( تسكته العرافة بحركة من يدها )

العرافة

: ( لاحدى الموجودات )

القيتها في احد الانهار ..  
( تعطيها شيئاً ملفوفاً في خرقة )

عند القمر الرابع ..

ثم اغتسلي عند السابع ..  
وخذي هذي الشمعات السود ..  
اضئها في المقبرة المهجورة عند الظهر  
واعيدي كلماتي  
لا تنسيها ..  
فلسوف تفيد ..  
( تتحرك في جلستها تجاه امرأة اخرى .  
تألم الاولى حاجياتها وتخرج .  
تقرب الثانية من العرافة تهمس في اذنيها  
بضع كلمات .. تعود الى مكانها )

## العرافة

: يا بنتي هذا حق الاسياد علينا ..  
ان شاءوا شئنا  
واذا امروا أذعنا ..  
وتكون المرأة منا ، غاسلة ، ومربية ..  
وتكون امه ...  
وتشيل دلاء الماء قبيل الفجر  
وتوقد نار القدر  
وتسقي الثور ..

وتكذس ارض حظيرته ، وتنظفه ..  
ثور السيد مثل السيد مخدوم حتى القبر ..

المرأة : ( في خجل )  
وتكون مدلكة

العراقة : وتكون مدلكة للسيد ( تسعل )

لكن محتشمة ( تهمس )  
ما دمنا يا بنتي لا نملك ان نعصاهم  
فلنظهر لهم الطاعة ..  
كل الطاعة  
الحكمة قالت ان نصبر  
فلنصبر

صبر المقهور على القهر ..  
شجاعة

قومي واطيعي  
( تقوم وتخرج .. تقترب من العجوز  
العراقة امرأة ثالثة زائغة العينين )

المرأة : ابني لم يخطيء



( تنصرف الى دينج والاعرج )

جئتم من اقصى الارض

الاعرج : اتينا مقهورين

العراقة : انا اعرف . .

دينج : لم يؤلمني يا جدة عض القيد

على لمي . . يؤلم روعي . .

يؤلمها اني عبد . . ( بحيرة مريرة )

لم اعرف اني عبد

العراقة : وانا لا اعرف يا ولدي

الاعرج : ويقول السيد ما لا نعرفه

العراقة : ما نعرفه لا يعرفه السيد

دينج : ويقول الكاهن ان الله لهذا يخلقنا

واذا خالفناهم فسيحرقنا

العراقة : كذب الكاذب . .

كذب الكاذب . .

فالله بلا حاجب . .

- الله هو النهر الصاخب
- وهو الليل الغاضب
- وهو الشمس المنظورة
- والافلاك اللامنظورة
- والريح المنشورة ، والروح السارب
- الله هو الايماء والحركات
- هو الرمز المنقوش على احداق الطير
- واشجار الغابات
- الله هو الكلمات

(العراقة تحرك جمرات الموقد بغصا في  
يدها )

دينج : ومتى نرجع؟

العراقة : ( لا ترفع رأسها عن الموقد )  
يوماً ما يا ولدي . .

دينج : الواحد منا يرجع حياً .. او ميتاً .. ؟؟  
اكلت موتانا هذه الارض الملعونة

**اصوات** : أكلت آلاف الاجساد المدفونة  
هذي الارض الملعونة

( ترفع العوافة يدها فيسكتون )

**العراقة** : لم تأكل منا غير الاجساد المسكينة ..  
لم تأكل غير الاجساد  
لم تأخذ غير رماد ..  
اما الارواح فتنتظر الميلاد ..

(دقات طبول بعيدة .. تجتذب الوجوه  
ناحية الصوت .. العراقة تميل الى الامام .

تبتسم )

امضوا .. امضوا ..

هذا هو صوتهم يتوهج في الابعاد ..

هذا صوت الاجداد ..

الموتى يختالون ..

الموتى يبتسمون ..

الموتى والاحياء هناك ..

امضوا...امضوا...امضوا...

( يخرجون واحداً فواحداً .. تحرك  
نار الموقد .. تلقي فيه بعض الاعشاب ..  
تتوكأ على عصاها .. فتغلق الباب .. يسود  
الظلام .. تعلو دقات الطبول .. تتوتر شيئاً  
فشيئاً .. يظهر المسرح مظلماً .. لحظات ..  
درجات الضوء تتغير تدريجياً يبقى افراد  
الكورس جميعاً في الظل .. مصطفىين حول  
خشبة المسرح ..

في منطقة الضوء سولارا مقعية تن ..  
ودينج يقف بجانبها .. )

دينج

: ( متوتراً )

سأقول لهم ..

سولارا

: ( بانكسار ) لكنك لن تقسوا .. لن

تكرهني .. فأنا اختك ..

دينج

: اختي لا تجترها .. اي دم ملعون يجمعني

بك .. لا يجمعني بك الا خزيك يا اختي ..  
لا .. لا حسبك ..

سولارا : ( بعويل ) اختك .. اني اختك ..

دينج : القيت ظلامك فوق سماواتي ..

سولارا : اقتلني لو شئت ..

دينج : اتمنى لو لم .. يا لشقائي .. الارض تدور ..

الارض تدور .. اعني يا رباه ..

سولارا : اخي ..

دينج : تتشقق تحتي الارض .. دعيه مخنوقاً ..

مخنوقاً .. هذا الصوت ..

يعذب روحي هذا الصوت ..

( يهوي على ركبتيه )

سولارا : انا عارك ..

دينج : عاري .. من .. من يغسله ؟ ..

لن تغسل عاري كل مياه الصمت ..

سولارا : اركلي .. ابصق في وجهي ..

ابصق في وجهي حتى الموت ..  
اقتلني انت ..  
اقتلني انت ..

الكورس : سولارا .. سولارا ..

دينج : ( ينهض مكتئباً ويلف حولها )  
سأقول لهم ..

سولارا : ياويلي .. ياويلي ..

دينج : لا .. لا .. سأقول لهم ..

أقول لهم اختي .. معبودتهم ..  
حبلى .. حبلى ..  
لا أقدر .. لا أقدر .. لا ..

( يذهب تجاه الظل فيخفيه الكورس )

سولارا : ( تتوجع ) عاري في بطني ..

الكورس : لا نسأل عما في بطنك ..

بل نسأل عما في قلبك ..

( تلتفت فلا ترى شيئاً )

سولارا : عاري في قلبي . .

الكورس : لم يا سولارا ... ؟  
كيف رضيت بهذا العار ..

( تلتفت فلا ترى شيئاً )

سولارا : لم أعرف ان ثمار الحب بلا اشجار . .

الكورس :

( مستنكراً )

الحب .. الحب .. الحب .. الحب .. الحب ، الحب  
( تخرج احدى افراد الكورس نحوها  
وتقذفها بشيء في يدها .. ثم تقعي بجوارها في  
منطقة الضوء )

لا ينجل مثلك .. ( تتبعها اخرى )

لا يتورع مثلك .. ( تتبعها اخرى )

شيء كجبال من وحل في عينيها

( تتبعها اخرى )

داست دم زنجبي

( تتبعها اخرى )

خنقته بكفيها

( تتبعها اخرى )

تلدن النار الميتة ..

لن تلدي غير الاحقاد .. وغير الرعب

يا افعى النهر المنبوذة ..

يا منبوذة . .

لم لا تلدين الآن ؟

لديه الان . .

ضعيه الآن

هذا السم المتجمد في ثدييك ..

ضعيه الآن

ضعيه الآن

ضعيه الآن

( يطبق الكورس عليها )

: ( تدور حول نفسها صارخة )

يادينج .. يادينج ..

سولارا

اقتلني انت ..

اقتلني انت ..

( تظهر العرافة وخافها دينج )

العرافة

: كفوا عنها ..

كفوا عنها ..

ملعون من يدنو منها

ملعون

ملعون

( يتراجعون مشدوهين )

قومي ياسولارا

العرافة

: قومي يا سولارا .

سولارا

: من يغفر لي ؟

من يغفر لي ؟

العرافة

: قومي يا سولارا

انا اغفر لك

الكورس

: ( بغضب مفاجيء )

لا .. لا اتثدي اياك حذار

- العرافة : ومن غيري ؟
- الكورس : اياك حذار
- العرافة : انا الغفران
- الكورس : ونحن النعمة
- العرافة : ابنائي
- الكورس : نحن الاضغان
- العرافة : انتم بعضي
- سولارا : امي
- الكورس : الملعونة
- العرافة : يا ابنائي القسوة لا تجدي  
تقسون عليها
- الكورس : لا غفران لمن اخطأ
- سولارا : لم اخطىء . . اقسم لم اخطىء
- الكورس : ما هي ذي تكذب  
غارقة في الوحل وتكذب

سولارا

: لم ا كذب

الكورس

: ( ساخرأ )

نحن الكذابون اذن

احدهم

: هيا اعترفي

سولارا

: يا امي

الكورس

: اعترفي

( تنتفض سولارا واقفة في تحد .. تدير  
وجهها محدقة في عيونهم فيتراجعون .. تحقق  
فيهم واحداً واحداً وهي تدور في الحلقة ..  
صمت ثقيل تقطعه سولارا )

سولارا

: ساقول لكم

الكورس

: قولي

العرافة

: تقسون عليها

الكورس

: قولي

امراة

: انا أكره أن أسمع ( تحاول الخروج )

دينج

: وأنا لا أقدر

## العرافة

: ( للمرأة )

اين ؟ قفي

يا دينج ارجع

قولي يا بنتي ( للكورس )

قد حاكمتم فاستمعوا

## سولارا

: كانت ايديكم في الاغلال

و كنت انا ابكي ..

وسمعتم ثم تباطأتم

وصرخت بكم ..

وسمعتم ثم تباطأتم

ودفعت الحائط بعد الحائط ..

واستصرخت بكم ..

بك انت .. وانت .. وانت

ولم يسمع احد منكم ..

فلقد كانت ايديكم في الاغلال

وغرقت انا في اللعنة

حين غرقتم في الاوحال

أترون ؟ ( تكشف عن أثر سيات )

هنا أثر النيران . .  
وهذا نقش السوط  
و كنت أناديكم ، ويداي مقيدتان  
ولم يسمع أحد منكم  
وتمدد في روحي حزن قاتل  
وذهبت فلم أرحع  
وغشيت فلم أسمع  
وسمعت . . لا لم يسمع أحد منكم  
فلقد كانت أيديكم في الاغلال

الكورس : كفى يا سولارا

أحدهم : وكأنا لا نعرف

آخر : كنا نعرف

آخر : واذن فالاثم لغيرك يا سولارا

الكورس : الاثم لنا

واخجلتنا

نحن البلهاء المسؤولين  
نحن الطلقاء المسجونون  
أخطأنا يا سولارا  
نحن المسؤولين  
هبينا غفرانك  
غفرانك يا سولارا

سولارا : يا أحبابي

العراق : يا أبنائي

ستار

## المشهد الثاني

( حجرة في قصر الحاكم الفرنسي بجزيرة هايتي .. شارلي ومارك وادجار وتوربان ملاك العبيد يتحدثون .. الاثاث طراز العصر .. خريطة ضخمة معلقة على الحائط المقابل .. بوكمان عبد توربان وسائق عربته يقعي عن بعد في انتظار سيده .. بين الحين والحين يمر الحاكم وزوجته بخطوات بطيئة جيئة وذهاباً .. فيبدوان للحظات امام باب الحجرة ) .

ادجار : ( متضجراً ) أو لم يسام من زوجته هذا الجنرال ..

شارلي : ( ضاحكاً ) لو كانت حسناء لستأناها .. ونفضنا أيدينا منها وهجرناها ..

وبحثنا عن اخرى كي تخلفها في الحال

: اخفض يا شارلي من صوتك . .

قد يسمعنا . .

: لن يسمعنا

مارك

شارلي

( يميل عليه قليلا )

في سرك هذه الكلمة فاسمعا همسا

جنرالك طفل مغرور

رسموا في جبهته شمسا . .

: هذا قذف ، وأنا لا أسمح لك . .

أن تسخر من جنرالات فرنسا . .

توربان

( يمر الجنرال وزوجته ثم يتواريان )

: جنرالات فرنسا .

لن تعرفهم مثلي

فاسمع ما تجهله عنهم

( يقف ويتحرك )

شارات حرير . .

شارلي

ونياشين تتالق فوق قبور ..

وسيوف من ذهب وقصور ..

وخيول مطهمة وعطور ..

ونساء من بللور

ويشب لهيب الحرب فيختبئون ..

كل في مخدعه .. وتموت النار

في ايدينا نحن التجار ..

فتعود الاوسمة البراقة

والرايات الخفاقة ..

ويعود الجنرالات كما كانوا بالامس ويصبح

نابليون القائد نابليون

( يدخل الجنرال يحيمهم بايلاء مقتضبة ..

يتجه للخريطة ويأخذ في تأملها .. انفاس

غليونه تتصاعد )

: ( لمارك ) اشعل لي غليوني ..

هذا التنباك الفاخر اعطته ارضي ..

شارلي

لم تنتج مزرعة مثله ..  
الفا عبد ماتوا قبله ..  
خذ هذي الحكمة عني ..  
أشجار التنباك الجيد  
كبساتين العنب الجيد  
لا يدركها الا الذوق الجيد  
وانا يرضيني حكم الجنرال

توربان : الجنرال لديه امور تشغله ..

ادجار : ربما القى الثوار القبض على الملك الهارب ..

شارلي : ملك مسكين ..

ادجار : بل انت المسكين ..  
تتحدث في اشفاق عنه مثل الملكيين  
ونسيت ضحايا الشعب ..

شارلي : الشعب انا ..  
( يسحب سيفه ويهب واقفاً )

الجنرال : اجلس يا شارلي

- ادجار : الشعب الثورة ..
- شارلي : قد طفت بلاد الدنيا ، حتى شبت ..  
وشابت اشرعتي ، وغرقت مراراً ثم  
نجوت ..
- وجمعت عبيدي من أقطار الارض وعدت ..
- الجنرال : أجمهوري انت ؟
- شارلي : أتعني الجمهورية ان جميع الناس ملوك ..
- الجنرال : تعني ان الانسان اخوك ..
- شارلي : ( مستاء ) تعني ماذا أيضاً ..
- الجنرال : والناس سواسية ..
- شارلي : ( متهكماً ) والحر الابيض مثل العبد الاسود ..  
والمقدام الفارس كالصعلوك ..  
اذن فالجمهورية قد تعني الفوضى ..  
وأنا من اجل عبيدي لا ارضى  
انا ارفضها رفضاً ..  
انا اكفر بالجمهورية

الجنرال

: من يجرؤ ؟

شارلي

: ( ثائراً ) اني اعلنها باسمي واسم التجار جميعاً

ادجار

: لست معك

توربان

: لسنا تبعك

مارك

: لا يا شارلي لسنا تبعك ..

شارلي

: ( في هستيرية ) واسم عبيدي اني سأمزق

رايتها .. وسأحرق عرش مليكي .. عاش

لويس .. دمي .. وولائي .. للملكية

الجنرال

: حتى لو مات لويس السادس عشر ؟

شارلي

: لا اسمعكم ..

الجنرال

: قد مات لويس السادس عشر ..

شارلي

: لا افهمكم ..

الجنرال

: وانهارت اعمدة الباستيل

وتغير وجه الجبل ..

ولن يتوقف صوت الرعد

**شارلي** : ( منهاراً ) وماذا بعد ؟  
وماذا بعد ؟

( يطل من الباب عبد يلبس الزي العسكري  
يشير اليه الجنرال فيقترب مضطرباً ..  
يهمس بكلمتين .. )

**الجنرال** : ( للعبد ) قف لا تذهب ..  
( لتوربان ) هل بين عبيدك يا توربان ..  
عبد يدعى بوكان ؟

**توربان** : ( مشيراً باعجاب الى بوكان )  
هو أقربهم عندي ..  
ومدير اعماله ..  
والسيد من بعدي ..

**الجنرال** : بوكان .. اجب ..

**توربان** : هل ثمة من شيء حوله ..

**الجنرال** : ( للعبد ) قل له ..

**العبد** : ( زائغ العينين ) يتأمر ..

توربان : ماذا تزعم ؟

العبد : يدعوهـم كل مساء

توربان : ( صارخاً ) يدعو من ؟

العبد : يدعو عبدان القرية . .

توربان : ( صارخاً ) يدعو من ؟

العبد : انتم بؤساء ..

انتم غرباء ..

تسقون تراب الارض دماً ..

ويموت الواحد منكم دون ثمن ..

ونسائكم في أحضان السادة

جوع وخنوع وقواده

صمت العبد اراده ..

توربان : ( منفعلاً ) كذب منسوج جئت به

بوكمـان معي أبداً لا يتركني

مشدود في ظلي ..

يسقيني يطعمني بيديه ..

يغطيني بها من نار الظهر . .  
وريح الفجر . .  
ويمضي الليل يغنيني . .  
وينام على قدمي ..  
وينسج في عيني حداثق احلامي ..  
بوكان الرائع  
( ينظر اليه باشفاق )  
سيفي ضد العالم . .  
كلي خدامي ..  
وثرید تلوته عندي . .  
قل من اغراك به ..  
قل انك مأجور كي تحرمني منه ..  
قل انك تكذب .. تكذب ..  
قل لا تكتم شيئاً ..  
لا تكذب .. لا تكذب ..  
( يستولي على العبد ذعر هائل )  
( فيتلجلج .. )

- الجنرال : قل من اغراك به ..
- شارلي : لا تغضب يا توربان ..
- ادجار : الصمت الفاضح .. عنوان الكذب الفاضح ..
- شارلي : هذا واضح ..
- مارك : ولكي لا يضيع يوماً هذي الاكذوبة ..
- شارلي : ولكي يرضى السيد توربان  
مر يا جنرال بمن يتولى تأديبه ..  
( الجنرال يصفق بيديه )
- العبد : ( مرعوباً ) التوبة يا جنرال  
الرحمة يا جنرال
- شارلي : ( مؤنباً ) التوبة والرحمة .
- ادجار : سيان العبد الخائن والعبد المأجور ..
- العبد : التوبة يا جنرال ..  
الرحمة يا جنرال  
( يدخل ثلاثة عبيد مسلحين )

الجنرال : في السرداب الخلفي ضعوه ..

العبد : التوبة والرحمة ..

شارلي : الكاذب اولى بالنقمة ..  
( يحرونه خارجاً )

العبد : يا جنرال الرحمة ..

الجنرال : لا تغضب يا توربان ..

العبد : ( من بعيد ) الرحمة ..

الجنرال : لا تغضب ..

شارلي : ( مواسياً ) لا تغضب ..  
لن يرحمه الشيطان ..

( تدخل نجارية الجنرال )

النجارية : مولاتي واقفة بالباب ..

توربان : ( لبوكمات ) اعد لنا العربية

الجنرال : سأجيء سريعاً ( لشارلي )  
بعض الاحلام المضطربة ..

قد تصبح ناراً ملتهبة ..

تقتات بلحم يدك ..

وتعيش على جسدك

ان لم تمتد الى الرقبة

( متحكماً ) يا شارلي العصر ( وهو يخرج )

تقبل تعزيتي في سيدك ..

المشقوق لويس السادس عشر ..

( يكفر وجه شارلي .. يحني جبهته

ويخرج الآخرون وراءه .. يسود صمت وظلام ..

وتأتي برهة يعقبها هدير امواج .. وأزيز رياح

مع الضوء الباهت نشاهد صخرة مطلة على

الشاطئ .. شبح يتحرك حولها .. تلوح

رأس بوكمان وتتبين ملامحه وهو يتسلل حتى

يقف في موازاة الصخرة ) .

: ( يناجي نفسه )

بوكمان العبد

بوكمان

بوكم ان العبد

تعال .. اذهب .. سر خلفي .. اقعد

قبل يد سيدتك ..

ضع هذا الجير الابيض في وجهك ..

افتح شفتيك ..

الفجوة ضيقة .. صفق بيديك ..

اصبغ عينيك ..

اضحك ..

اضحكني . رفه عني ..

اجعلني . اضحك . ها ها ها ..

اضحك .. ها ها ها ..

( يسكت فجأة .. يتحرك خطوة )

اخرس ..

تتسكع مثل الدودة بين شقوق الحقل ..

تتجشأ .. تأكل .. تستلقي كالبعل

الاطباق اتسخت ..

البسني النعل ..  
الشنق لمثللك اجدى ..  
الكي على الافخاذ .. الشمع الذائب حتى  
النصف ..  
القتل .. القتل ..  
اسألني ..  
لا تسألني ..  
المالك كالحالق ..  
والعبد الخالص لا يسأل ..  
دقوا عنق العبد الناطق ..  
مارق .. مارق ..  
ملثاث العقل ..  
قد مات زمان الطبل ..  
ومات الطبل

( صدى طبول بعيدة )

الكذابون ..

الكذابون بكل لسان  
فالطبل الانسان الاسيان  
ما زال يصيح .. ينوح ..  
الطبل يد ولسان ..  
طبل الشعب الغاضب ..  
فليسكت كل فم كاذب . .

( دوي رياح وامواج )

وليسكن صوت الريح . .  
وليهدأ ، صوت الرعد ..  
انا لم اتكلم بعد . .

( يصعد فوق الصخرة )

هذا انا يا توربان ..

يا حكام هاييتي

يا تجار هاييتي

يا اشراف هاييتي

الفرسان المشهورون

ذوو القامات العاج ..

الهامات المرفوعة كالابراج ..

الصيادون تماسيح الامواج

هذا انا بوكمان الاسود ..

حجر في الطاحونة ..

تمثال طيني آت من افريقيا ..

للخدمة والزينة ..

لا اعرف لي اسماً او وطناً ..

عمري من منذ سنين شاحبة ..

وسنين كان ..

عشراً وثمان ..

اسمي لا اذكره ..

الصياد الاول اسماني بوكمان ..

الثاني أثقل روحي بالصلبان ..

والثالث .. كنت الحزن الثالث يا توربان ..

كنت الموت الثالث ..

وتبعتك ..

ارفل في هربي ..

اتجمل في عاري ..

اناثق في قيدي ..

وقهرتك في صمتي ..

ودفنتك في رعي ..

وقتلتك .. ثم قتلتك ، ثم قتلتك في حقدي

كم من مرة ..

وانا اتبسم في وجهك ..

اغزوك .. واحتلك ..

وارقع حىلا من احقادى لك ..

وأزين مشنقة سوداء ..

بلونك في عيني ..

وارقب كيف تموت ..

وكيف تموت ..

وكيف يعانقها مثلك ..  
يا توربان .. العادل ..  
ماذا يسوي عدلك ..  
وانا ظلك ..

ان تسطع شمسك تخفيني ..  
او تركض ريحك تطويني ..  
العدل الحق هو القدرة ..

هو عدل الحرية ..  
العدل هو الثورة ..  
فلتشتعل الثورة ..

( افواج من الزنوج تفد من اليمين  
واليسار .. يحملون مختلف الاسلحة  
والمشاعل والطبول والابواق .. بوكمان ينضم  
اليهم . )

: العدل هو الثورة ..  
العدل الحرية ..

: لتكونوا احراراً ..  
موتوا او عيشوا احراراً ..

الجميع

بوكمان

الجميع

: المعدل الحرية ..

المعدل الحرية ..

بوكمان

: ( لأحدهم ) يجري نهر من احزانك ..

في هذي الارض ..

ابحث عن منبع احزانك

أحدهم

: ( لبوكمان ) الشعلة في الساحة ..

والحاكم في قصر الضيعة ..

آخر

: جبلان من الفولاذ يحيطان الضيعة ..

بوكمان

: ( لآخر ) ابدأ بالاشجار الضخمة ..

النار على القمة ..

الجميع

: فلنقتحم القاعة ..

بوكمان

: دنت الساعة

الجميع

: فلنقتحم القاعة ..

آخر

: عودي يا سولارا ..

آخر

: نضبت بئر الطاعة ..

بوكمان

: عودي يا سولارا ..

لا تستبقي الرؤيا ..

هيا

( تختلط الشعارات .. تتموج الجموع ..  
طلقات رصاص .. الطبول وهمج النيران ..  
الضوء يخفت ، ويتوهج .. اصوات الثورة .. )  
سقطت

والحاكم مات

: العدل الحرية

اصوات

عودي يا سولارا  
سقطت .. لا تضربوا

يد من تلك اليد

: بمسكة بعصا الحرية

اصوات

هرب التجار

النار النار

: لنمت من اجل الحرية

سولارا

: العدل الحرية

الجميع

العدل الحرية

لتضيء .. ولتتألق ..

سقطت ..

هربوا

طعنوها .. قتلوها

لقتلهم .. ولتتألق

احرق .. احرق ..

لفوها .. لفوها ..

في الراية

التجار انهزموا

الملاك انهزموا

لن تنهزموا

يا فجر الاحلام الكبرى

لن تنهزموا

( تخفت الحركة والضوضاء شيئاً فشيئاً

يسود الظلام .. )

النهاية

ثَوْرَةُ عَمْرِو الْمُخْتَارِ

عمر المختار

## كلمات قليلة عن المسرح والمسرحية

« كان من المفروض بمسرحية « عمر المختار » ان تعرض خلال الموسم الفائت في جمهورية مصر العربية . وكان من المفروض ان يخرجها نبيل الالفي . ثم حدث ان اختلفت معه ، نتيجة الاختلاف في تحديد مفهوم العمل المسرحي » .

### نظرة كلاسيكية واخرى تقديمية

كانت وجهة نظر المخرج انه لا بد من تحديد ابعاد شخصية البطل المسرحي ، وتسلط الاضواء عليها ، بشكل يحدد

اهدافها ومعطياتها الاجتماعية والانسانية ، انطلاقاً من نظرة المسرح القديم التي تشدد على ان يكون البطل محور العمل المسرحي ، وان تكون كافة الحوادث والشخصيات التي تتحرك حوله مؤدية كلها الى تأكيد هذه الضرورة .

« تلك كانت نظرة المخرج ، وهي نظرة علمية دون شك ، إلا انني لم اكن اوافقه كثيراً على ضرورة ان يكون للمسرحية بطل واحد . وانما يمكن ان تشيع صفة البطولة المسرحية في اكثر من شخصية واحدة . واعتقد انني في ذلك ، كنت أستند ايضاً الى رأي مسرحي اكثر تقدماً . فالبطل الاسطوري القديم الذي كان يمثل المسرح الاغريقي (مثل سوفوكليس ، واسخيلوس ، واوريبيديس ) او ابطال شكسبير ايضاً ( مكبث ، هملت ، الملك لير . . . ) ، هذا البطل اصبحت في نظرة المسرح الحديث غير مهم تماماً ، بمعنى ان التطور الاجتماعي والسياسي الذي شهدته حركة الشعوب نحو التحرر ، اصبحت الحركة الاجتماعية في الواقع الانساني ، تلك الحركة التي لم تعد تتحكم فيها القوانين

القديمة . ومن هنا اكتسب المسرح الحديث صفة توزيع شخصية  
البطل وانعدام الفردية على خشبة المسرح . ومن هنا ايضا هبطت  
قيمة الابطال المسرحيين القدماء ، بل تلاشت نهائيا بحيث احتلت  
المسرح نماذج شعبية اخرى تمثل القطاعات الجديدة في المجتمع  
الانساني ( مثلا : مسرح سارتر ، صموئيل بيكيت ، يونسكو ) .  
وربما بشكل اكثر وضوحا وتفهما للدور الحقيقي للمسرح كما عند  
بريشت .

« نخلص الى ذلك في ان وجهة نظري حول عمر المختار هي :  
صحيح ان المختار كان يتزعم الثورة الوطنية ضد الطغيان  
الاطالافي الفاشستي ، الا ان البطل الحقيقي هو الشعب الليبي  
نفسه » .

ونظراً لوجهة النظر هذه ، نرى ان عمر المختار يظهر في  
المشهد الاول من الفصل الاول . ويختفي ليعود ويظهر مجددا في  
المشهد الثاني من الفصل الثالث ، ليقود حركة الثوار الوطنيين  
في احدى المعارك حيث يصاب بالجرح الذي اوقعه في الأسر .  
ثم لا نراه الا في المشهدين الاخيرين من الفصل الثالث ، وهو

يواجه المحكمة التي شكلت خصيصاً لمحاكمته . ومن ثم نرى مشهده وهو جثة هامدة تتأرجح بحبل المشنقة . اما باقي المشاهد والفصول فتتحرك خلالها نماذج عديدة من الشخصيات الثورية الليبية ، وشخصيات اخرى ايضا تعطينا صوراً مكثفة من المجتمع بكل تناقضاته ، بسلبياته وإيجابياته .

« المؤلف »

# شخصيات المسرحية

## الشخصيات العربية الرئيسية :

العجوز العمياء	ام سامى
ابنتها	سامى
شاب ليبي ثائر	زهير
قائد الثورة الوطنية	عمر المختار
مستشار عمر المختار	راشد
مساعد عمر المختار	المنصور
احد المجاهدين	عبد السلام

## الشخصيات الاجنبية الرئيسية :

الجنرال غرازياي : قائد القوات الفاشيستية  
المجندة جينا

الكولونيل ماليتي

شخصيات ثانوية: الامام ، الملازم ، الخائن  
نكرات :

ضباط ، جنود ، مجاهدون ، نساء ، الجلاد  
ومساعده ..

المكان : الجبل الاخضر بليبيا

الزمان : من ١٩٢٥ الى ١٩٣١

( سكون وظلام يسودان المسرح والصالة ..

قبل أن يرتفع الستار ، عن سور « غرازياني » الهائل المشيد  
من الأسلاك الشائكة ، والممتد امتداد الأفق الصحراوي ..  
تدوي عدة طلقات رصاص قادمة من بعيد ..

تنحدر أشعة فجر شاحب ، تلمح في ضوئها ، حارسين  
مسلحين ، يتسكعان في مواجهة السور .. يتحدثان همساً ..

أحد الحارسين ، وهو الجندي « روبرتو » لم يتجاوز العشرين ،  
قصير القامة ، نحيل ، يحرك بين الحين والحين ، قدميه الثقيلين ،  
بجذائهما الضخم ، علواً وانخفاضاً .. كأنه يخشى أن تلتصق بهما ،  
احدى حشرات الصحراء

الآخر ، وهو الجاويش « ماركو » ، في الخمسين من عمره ،  
طويل ، نحيل ، محدودب الظهر ، قليلاً الى الامام .. حين

يتحدث الى زميله ، يبدو متصنعاً ومغروراً ، ومثيراً  
للاشمزاز .. )

ماركو : قف في ثبات أيها الجندي

روبرتو : ماذا؟

ماركو : قلت ، قف معتدل القامة ، مثلي هكذا ..

( يشد قامته حتى يبدو في وضع مضحك ..

روبرتو يحدق فيه ببلاهة )

نحن جنود الأمبراطورية العظمى ..

التي تمتلك العالم .. روما .. انها تنتظر في

فخر الينا الآن .. في زهو وإعجاب بنا

( يصرخ مغنياً ) من أجل عينيك الجميلتين ،

نحن ما هنا ..

روبرتو : ( في هدوء )

من أجل عيني من ؟

ماركو : ( ماضياً في غنائه )

لان لون عينيها هو الزرقة ..  
فالسما زرقاء  
وروح الشمس زرقاء  
ولون البحر أزرق

روبرتو : ماركو أتعني ؟

ماركو : لا تقاطعني ( يستمر في غناؤه )

روبرتو : سئمت الحرب والغربة

ماركو : ( لا يسمعه )

من أجلك يا روماني ..  
يا سيدة الدنيا ( يبعد مغنياً )

روبرتو : ( يلحق به )

وزوجتك ؟

أين هي الآن ؟ وطفلك الصغير

والمعجوز الطيبة ؟ أمك

والبيت الذي أخبرتني عنه ، وراء الضفة

# الفصل الأول

## المشهد الأول

( سكون وظلام يسودان المسرح والصالة ..  
قبل أن يرتفع الستار ، عن سور « غرازياني » الهائل المشيد  
من الاسلاك الشائكة ، والممتد امتداد الافق الصحراوي ..  
تدوي عدة طلقات رصاص قادمة من بعيد ..

تنحدر اشعة فجر شاحب ، نلمح في ضوئها ، حارسين  
مسلحين ، يتسكعان في مواجهة السور .. يتحدثان همساً ..  
أحد الحارسين ، وهو الجندي « روبرتو » لم يتجاوز العشرين ،  
قصير القامة ، نحيل ، يحرك بين الحين والحين ، قدميه الثقلتين ،  
بجذائهما الضخم ، علواً وانخفاضاً .. كأنه يخشى ان تلتصق بهما ،  
احدى حشرات الصحراء .

الآخر ، وهو الجاويش « ماركو » في الخمسين من عمره ،  
طويل ، نحيل ، محدودب الظهر ، قليلا الى الامام .. حين

يتحدث الى زميله ، يبدو متصنعاً ، ومغروراً ، ومشيراً  
للاشمئزاز .. )

ماركو : قف في ثبات ايها الجندي

روبرتو : ماذا ؟

ماركو : قلت ، قف معتدل القامة ، مثلي هكذا ..

( يشد قامته ، حتى يبدو في وضع مضحك ..

روبرتو يحدق فيه ببلاهة )

نحن جنود الامبراطورية العظمى ..

التي تمتلك العالم .. روما .. انها تنظر في

فخر الينا الآن .. في زهو واعجاب بنا

( يصرخ مغنياً ) من اجل عينيك الجميلتين ،

نحن هامننا ..

روبرتو : ( في هدوء )

من أجل عيني من ؟

ماركو : ( ماضياً في غناؤه )

لان لون عينيها هو الزرقة ..  
فالسما زرقاء  
وروح الشمس زرقاء  
ولون البحر ازرق

روبرتو : ماركو أتعني؟

ماركو : لا تقاطعني ( يستمر في غناؤه )

روبرتو : سئمت الحرب والغربة

ماركو : ( لا يسمعه )

من اجلك يا روماني ..  
يا سيدة الدنيا ( يبتعد مغنياً )

روبرتو : ( يلحق به )

وزوجتك؟

أين هي الآن ؟ وطفلك الصغير

والعجوز الطيبة ؟ امك

والبيت الذي أخبرتني عنه ، وراء الضفة

الآخرى .. وغرفتك ؟

( يتحشرج الغناء في حلق ماركو .. يحمد في مكانه .. روبرتو يكاد يهمس في أذنه )  
ماركو ألم تكن تحب يوماً زوجتك ؟  
ألم تكن تغار ؟ أين حبك القديم ؟  
أين غيرتك ؟

ماركو

: ( كمن يفيق من سباته )  
بلى .. لقد أحببتها ؟

روبرتو

: ثم أتى الدوتشي .. وألقى بك في الصحراء  
منفيًا .. لماذا جئت يا ماركو ؟  
ألم تدرك ؟ لماذا ؟ ومتى ؟

ماركو

: أجل لماذا ؟ ومتى ؟

روبرتو

: لأننا لم نك أحراراً

لقد جئنا لأنهم هم الذين شاءوا أن نجيء .. ؟  
اننا الطاعة بينما هم الأوامر ؟

ماركو

: بالضبط .. دائماً هم الأوامر ( في يأس ) ؟

ماذا يفيد القول ( في ضيق ) ما جدوى الذي  
تقول ، ما دمنا هنا لكي ننفذ الأوامر .. نحن  
هنا لكي ننفذ الأوامر ؟

**روبرتو** : والموت في الغربية ؟ هل تعرف معنى الموت في  
الغربية ( ماركو لا يجيب ) ؟  
جمجمة في الصحراء ؟ كان اسمها روبرتو ؟  
أو كان اسمها ماركو ..

وتنسى الجمجمة بعد قليل انها كانت قديماً  
جمجمة ..

ماركو؟ لماذا شيدوا السور ؟ وكيف شيدوه ؟  
هل سألت مرة نفسك ؟ هل فهمت ؟

**ماركو** : ليس من حقك أن تسألني هذا السؤال ( محتداً )  
ليس من حقك يا روبرتو !  
اني أمرك ( في رقة مصطنعة )

أنت صديقي .. انما لا تنس مسؤولية الجاويش  
( يشير بيده الى رتبة الجاويش على ذراعه )

اني آمرك .

معذرة لهذه اللهجة يا روبرتو ..  
اغفر لي لأنني آمرك !

روبرتو

: سئمت يا ماركو ، ظلام الحرب ! والخوف  
من الموت ؛ ورمل الصحراء ، وجثث القتلى ؛  
وأنهار الدم القاني !  
أهذا كله من أجل روما !

أم لأن الدوتشي ما يزال عطشان الى الدماء .

ماركو

: التزم الصمت .. تعقل .. ربما تفقد رأسك

روبرتو

: ( وقد اجتاحتها قشعريرة برد )

البرد .. ياللبرد .. من أي سماء يهبط  
الملعون ! انه يوشك أن يقتلني !

ماركو

: تشجع .. اصبر .. انه أهون من أن تفقد  
الليلة رأسك .

روبرتو

: تؤلمني رأسي .

ماركو

: الوقوف مرهق ؛ فلنتحرك حول هذا السور ..

هيا نتحرك .

( يضع يده فوق كتف روبرتو .. ويخرجان

من اليسار .. من اليمين تظهر الصغيرة سلمى

« دون الخامسة عشرة من عمرها » ووراءها

العجوز العمياء ، في ملابسها الرثة .

بينما يتدلى من عنقها شيء أشبه بالجراب (

: ( للعجوز التي تمسك بملابسها من الخلف )

سلمى

تقدمي .. فالحارسان اختفيا

( تتركها سلمى . وتجري يمينا ويسارا

لتأكد من اختفائهما بينما العجوز تتلمس

طريقها نحو السور )

تقدمي ..

( تلامس العجوز الاسلاك الشائكة )

: وهكذا سد غرازياني الطريق .

العجوز

ياويلهم سدوا على رجالنا الطريق .

: هل هم الذين قتلوا أبي !

سلمى

المعجوز

: أعط إشارة الأمان .. أسرع  
( تهم سلمى بالسير .. تقف )

سلمى

: أماء .. هل أنت حزينة !

المعجوز

: يا سلمى .. أسرع .

( تخرج سلمى ، بينما تتجه المعجوز ناحية اليمين  
باسطة يديها .. يدخل عمر المختار « شيخ  
يتجاوز الستين ، ملثم الوجه » متوسط  
القامة .. يلتف بالزي الليبي القومي (الحرام)  
يربت على كتف المعجوز لحظات .. تبسم  
المعجوز في حنان وثقة .. يمضي عمر الى  
السور ، وينفذ منه .. )

المعجوز

: امض ، وعد من رحلتك

متشعاً بهيبتك

ما اروعك

واشجعتك

يا عمر المختار ، اعداؤك كثر ،  
والطريق وعرة ..

فاذهب على اسم الله

والله معك

الله معك

( بعد ان استبطأت سلمى )

من اين يا سلمى ؟ ذهبت اين ؟

: ( تظهر مضطربة )

من هنا .. كان هنا .. كان هنا ..

: يا سلمى ماذا بك ؟

: هل نحن سجينتان ؟

: اسرعي ، فقد يحبس بعضهم

: لقد تعبت

: يا صغيرتي اصبري

: طوال ليلتين ونهارين

: لنبتعد

: خائفة انت ؟

: اجل عليك يا صغيرتي

لم يبق لي غيرك

سلمى

العجوز

سلمى

العجوز

سلمى

العجوز

سلمى

العجوز

سلمى

العجوز

: هل هم الذين قتلوا أبي ؟

سامي

: لنتحدث في الطريق ..

العجوز

خذي يدي ( تمشيان تجاه اليسار . .  
العجوز تناجي نفسها )  
عمياء لا ابصر . .

عمياء انا ..

عكازتي جذع قديم التوى  
وبيتي الحزن .. وعالمي الدجى  
أماه ..

: ( مستطردة )

العجوز

لا لست حزينة ، لاني لا ارى  
يخطىء من يحسب اني لا ارى  
عيناى عمياوان .. لكني ارى  
( تضحك بحقد مكتوم .. تضرب الارض  
بمكازها )

في هذه اللحظة . .

( هرولة اقدام خارج المسرح .. اصوات

## مختلطة بقرقة اسلحة

العجوز ترهف السمع . البنت تلوذ بها .. ( .

صوت ١ : قف

صوت ٢ : من أنت ( تقترب الاصوات اكثر )

العجوز : ( لنفسها ) لا حول ولا قوة

صوت ١ : ماذا في يديك

صوت ٢ : ارفع يديك

صوت ١ : اقترب . لا تتحرك

صوت ٢ : اقترب

صوت ١ : سأطلق النار عليك

العجوز : لعنة الله عليهم

صوت ١ : من تكون ؟

العجوز : ( للبنت )

قد اقبل الفاشيست هيا اسرعي .

صوت ١ : أهرب أنت ؟

العجوز : ( وهي تسرع الخطى وراء الفتاة )  
له الله .

صوت ١ : ومن اين اتيت ؟

صوت ٢ : امش امامي .. من تكون ؟

( يدخل من الجانب الايسر ثلاثة جنود  
ايطاليون مسلحون .. اثنان في المقدمة ..  
ووراءهما الشاب الليبي زهير ، مقبوضاً عليه ،  
الجندي الثالث يصبو سلاحه الى زهير ) .

زهير : اسمي زهير بن غصون

الجندي الاول : ومن زهير ؟

زهير : اسمي انا

الجندي الثاني : ( كأنما يتذكر ) زهير .. هل قلت زهير بن  
غصون ؟

الجندي الاول : كأنما سمعت هذا الاسم من قبل

الجندي الثاني : ( ضاحكاً في سخرية ) زهير بن غصون

الجندي الاول : اقم على الارض ( زهير يتباطأ )

ألا تسمع ! قلت اقعد على الارض ( يقعد  
بكبرياء )

الجندي الثاني : ومن كان معك !

زهير : كنت انا وحدي

الجندي الاول : فتشا المكان

( يذهب اثنان )

لا تبتعدا ( زهير وهو يحاول الوقوف )

الزم موضعك

زهير : ( يسعل .. ثم يعاثر الجندي وقد لاحظ

اضطرابه )

أخائف مني !

الجندي : ( بكبرياء مصطنع )

أنا !

زهير : اذن لماذا ترتعش

الجندي : انا ! كذبت ( زهير يحاول الوقوف )

اقعد كما كنت

زهير : ( ضاحكاً ) ولكنك ترتعش .

الجندي : ( مصوباً السلاح اليه .. بينما زهير يضحك )  
تريد أن تخدعني اياك

زهير : أسنانك تصطك  
وعيناك مريضتان  
هل انت مريض ايها الجندي .. !

الجندي : ( لنفسه )  
يبدو انني (منتفضاً)  
كفاك لن تخدعني اسكت  
( يعود لنفسه ) ربما كنت مريضاً

زهير : ( بخبث )  
ولعلي استطيع ان اساعدك  
( يفغر الجندي فاه ببلاهة لا يتكلم ..  
يدخل الجنديان ومعها العجوز والفتاة .. )

الجندي الاول : ( وهو يدفعها الى الورااء )  
عمياء

العجوز : دعني

الجندي الاول : منذ كم وانت عمياء .. انطقي

العجوز : منذ أتيتم هذه البلاد

الجندي الاول : ماذا تقصدين ..

بهذه البلاد ..

زهير : ( يتدخل )

تقصد ...

الجندي الاول : ( مقاطعاً )

هل انت محاميا ؟

لقد أنذرتك .. اسكت ..

الجندي الثاني : لا تزدد

العجوز : أعني ..

الجندي الاول : استمري

العجوز : قبل اعوام قلائل

كنت صغيرة وعمياء وجثتم . ( تسعل )

الجندي الاول : كيف جئنا .. اختصري

العجوز : ( تضحك بدهاء )  
ثم كبرتم وكبرنا .

الجندي الاول : ما الذي في هذه المخلاة ؟

العجوز : عشب وسنابل

الجندي الاول : روبرت افرغها ..

( يختطفها زميله ويفرغها .. يحرك محتوياتها  
بطرف البندقية متأففاً ..  
يلتقط صرة صغيرة فيها بعض الحصى .. )  
انتبه لعلها ..

الجندي الثاني : لعلها ماذا ؟ ( يقذفها للعجوز )  
امسكها انت ( تسقط الصرة )

زهير : ( عابثاً )  
قد يكون صادقاً .. لعلها ..

الجندي الثاني : ( خائفاً )  
اجل لعلها تكون ..

المعجوز : ( بدهشة )  
ما تكون ؟

سلى : ( تلتقط الصرة ) إنه حصى ..

المعجوز : بلى .. ألم أقل لكم حصى ..

الجندي الثاني : حصى ؟ ( ينحني ساخراً )  
وماذا تفعل السيدة العمياء بالحصى ؟

الجندي الاول : تلهو به ( يضحك )

الجندي الثاني : تطهوه إن! جاعت ( يضحكان ) وتشرب  
الرمال

زهير : تأدباً .. لا تهزأ بامرأة عمياء يا رجال

الجندي الاول : ( ساخراً ) عاد محاميتها

الجندي الثاني : أما زلت قدس أنفك اللئيم

الجندي الاول : أقسم ان اقطعه إن لم تكف عن لجاجاتك  
قولي يا امرأة

المعجوز : هذا الحصى عيناى

الجندي الاول : عيناك ؟

العجوز : بلى .. اقرؤه .. فأبصر الغيب

الجندي الاول : فهمت ( لزميله ) هل فهمت ؟  
المرأة العمياء تقرأ النجوم ( يضحكان )

العجوز : يا ولدي دعني

الجندي الاول : لا .. بل سوف تأتين معي ( يهمس في اذنها )  
سوف تسر الكولونيل رؤيتك  
فالكولونيل ..

زهير : ( مقاطعاً )

الكولونيل فارس تزهو به روما  
ويختال بما في صدره من أوسمه  
وهي غنيمة تزيده جلالاً عندها  
وتعلي اسمها .

الجندي الاول : ويلك هل تسخر من روما ومن ابطالها

زهير : روما ؟ وما شأني بروماك انا ..

الجندي الثاني : روما هي الدوتشي ..

( الجنود الثلاثة يؤدون التحية الفاشية )

زهير : تذكرت فقد رأيته يخطب يوماً رافعاً ساعده

الأيمن ( يضحك ) بلياتشو على دبابة يعوي ..  
سمين .. مضحك حق الرثاء

أضحكني الدوتشي وروما اغرقنتني في البكاء

الجندي الاول : قد سقط القناع عن وجهك ..

( لزميليه ) كلب يستحق الموت شنقاً

( يهزون عليه بكموب البنادق )

زهير : ( من خلال ضرباتهم )

أيثنا الكلب ؟ أنا ام كلب روما

الجندي الاول : اسكت ( يواصلون ضربه )

العجوز : ( لنفسها )

سيقضون على المسكين ..

زهير : لا .. لن تسكتوني

الجنود : أيها اللعين ..

**العجوز**

مجنون ولا شك :

ارفعوا ايديكم عنه .

**زهير**

: اذهبوا إلى الجحيم

**الجنود**

: ايها الكلب

**زهير**

: إلى الجحيم

كلكم إلى الجحيم .

- غلام -

## المشهد الثاني

( شارع طويل ضيق في مدينة درنة .. على جانبيه بيوت بسيطة ، مبنية على الطراز العربي القديم .. الى اقصى اليسار من الشارع ملهى ليلي ( نادي الليالي الحمراء ) ذو جدران زجاجية ، تنبعث من داخله موسيقى صاخبة ، تخالطها ضحكات سكارى .. عند ناصية الشارع القريبة من مقدمة المسرح أطلال جامع متهدم ، نرى في أحد جوانبه بقايا المنبر .. بالداخل عدد من المصلين لا يتجاوز السبعة .. الامام جالس وهم وراءه في ختام صلاة الفجر . . . )

الامام : السلام عليكم

المصلون : السلام عليكم

( يرددونها .. يتمم بعضهم بالادعية )

أحدهم : على خاتم الرسل الف سلام

آخر : قل لنا يا إمام

الإمام : على سيد الخلق الف سلام

( يستدير ويتحلقون حوله )

نفس الرجل : قل لنا يا إمام

لقد بقروا بطنها وهي حُبلى

آخر : اللئام .. اللئام

آخر : بعد حرق البيوت ، وسي الحرائر

آخر : وانتهاك الشعائر يا اخوتي ..

آخر : وابي الشيخ قد كان أعمى ولم يرحموه

آخر : وكم مسجد طاهر دنسوه ، وداست حوافرهم

فوق انقاضه ..

آخر : والكتاب الذي وطئوه

آخر : وماذا تبقى لنا يا إمام

الامام : طريقان : إما يد الصفح عنهم ، وإما يد الانتقام

رجل : ( متنكراً ) يد الصفح ؟ والله لا صفح .. لا صفح .. لا ..

احدهم : ( وهو قميء حليق ) اصغوا إلي

الامام : الكرامة فوق الحياة

الرجل الحليق : اسمعوا ايها القوم ان الصلاة ..

احدهم : ( مقاطعاً ) عرفناك

الرجل الحليق : ان الصلاة فريضة

احدهم : حقاً هذا صحيح .. ولكن ..

الرجل الحليق : أتتكرها

الامام : ايها المسلمون

احدهم : الجهاد فريضة

الامام : اشهد لم يبق إلا الجهاد

وقال تعالى

( يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القتال ، كما  
كتب على الذين من قبلكم .. )

المصلون : صدق الله ..

احدهم : الله اكبر

الامام : واستمعوا للرسول الكريم

المصلون : عليه السلام

الامام : ( والذي نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم  
رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا  
أدخله الله الجنة .. )

الرجل الحليق : يا إمام رويدك ..

كيف تطير طيور بلا اجنحه  
ثم لا تنسى انا قليل ، وانا ضعاف  
وتنقصنا الاسلحه

احدهم : ايها الخارجي

الرجل الحليق : وهم يا امام كثير ، وعندهم الطائرات .

احدهم : بربك من انت ؟

آخر : (منتقلاً من جواره)  
يا قوم ما هذه الرائحة ....

الامام : وماذا تريد بقولك هذا ؟

الرجل الحليق : ابصركم فالحياة كما تعلمون  
وقال تعالى :  
( ولا تلقوا بأنفسكم الى التهلكة ... )  
(تتداخل اصواتهم)

المصلون : ايها الخارجي الجبان

الامام : ( يهدهم ) اذا اخترت انت المهانة والعار  
فانعم بما اخترت وحدك

احدهم : هذا اختيارك وحدك

احدهم : امن ليبيا هو ؟

احدهم : إني أشك

الرجل الحليق : انبذوني كما شئتم  
انكروني كما شئتم  
فالنصيحة ....

احدهم : مرفوضة مثل هذي النصيحة

الامام : هذي خيانة

الرجل الحليق : أعوذ بربي

احدهم : ( الى من يحواره )

وما رأيته في اغتصاب بنات العوائل

آخر : أليست له أخت ؟

آخر : ولا زوجة ؟

احدهم : ان مثلك عار القبائل

الامام : أتعلم أن الزوايا الشريفة صارت اما كن فسق

لهم .. والمساجد اضعفت مواخير حيناً ،  
وحيناً مزابل

احدهم : أتعلم ؟

الامام : يعلم لكنه ( مستدركا ) ما علينا ساقراً هذا

النداء عليكم

احدهم : نداء

آخر : وممن ؟

احدهم : وامن غير « سيدي عمر » ؟

الرجل الحليق : أسمعتم نداء بادوليو ؟

احدهم : كأنك مندوبه بيننا ( يسخرون ويبتعدون عنه )

آخر : اقرأه وحدك

آخر : لسنا نريد

آخر : لماذا بربك انت هنا ؟

احدهم : يا امام استمر

احدهم : اسمعوا ( يصمتون جميعاً ) . .

الامام : قال سيدي عمر :

زففنا الى جنة الخلد امس شهيداً

عظيماً قضى ليلة البارحة

فقد داهمته جنود العدو

ودارت عليهم رحي المعركة

وقتل منهم كثيرين في الجبل الاخضر  
قراية خمسمئة  
وكان يكبر

المصلون : الله اكبر

الامام : الله اكبر

على العصابة المشتركة  
وعند الظهيرة  
أدى صلاة الظهيرة  
وراحت فئة  
وجاءت فئة  
وعاد يكبر

المصلون : الله اكبر

الامام : وكانت سيوف الفضيل واخوانه

الصامدون عليهم اشد وابتر  
الى ان اتت نجدات العدو  
وعادت تدور رحي المعركة

وفاضت الى الله روح العماري  
وروح الشريف ، وروح الغزالي  
وما زال سيف الفضيل  
يطوق نيرانهم ويصول  
ويرغي ويزبد

الى أن احاطوا به فاستشهد  
يعوضنا الله في الاربعين  
وعاقبة النصر للصابرين

المصلون

: ( بحزن )

يعوضنا الله فيهم

الامام

: ليرحمهم الله

الرجل الحليق : يا ايها المسلمون

احدهم

: ( واقفا متأهباً للخروج )

نويت الخروج الى الله

الامام

: فليقبل الله منك

آخر

: ( فاعلا مثله ) ومني ايضاً ( يخرجان )

ثالث

: سآتي وراءكما ( يتبعهما )

آخر

: آه لولا .. ( يروح في نوبة بكاء وهو يرفع  
ذراعيه الراعشتين )

( في مثل شيخوخته )

ألا فاذكروني بربكما عند « سيدي عمر »

( الامام يرفع يديه مبتهلاً الى الله ، ويتناول  
مصحفاً موضوعاً قرب القبلة ، يقوم الشيخان  
بمساعدة الامام ويتجهان ببطء ناحية الباب  
الرجل الحليق يلتقط حذاءه من جانبه ..  
وهو يحاول ان يتحدث مع الامام فلا يعيره  
التفاتاً .. الرجل الخامس ينهض ثم يطوي  
حصير المسجد .. وهو يحدجه بعينين ناقتين ..  
يلحق بالجميع عند باب المسجد .. يقفون  
جميعاً حين تأتيم اصدااء ضحكات السكارى  
الخارجين من الملهى .. يقبل ضابطان  
ايطاليان تتوسطهما « جينا » المجندة شبه  
عارية .. الثلاثة يتساندون .. عند فاصية

الشارع يتقابل الجميع وجهاً لوجه .. )

**الضابط الاول :** ( مترنحاً )

ايها العربي تعال اقرب

ما الذي كنت تفعل ( يستمرون في تجاهلهم )

**المرأة المجنونة :** ( متعلقة بذراع الاخر )

قل لا تخف ايها العربي

**الشاب :** نخاف ومن ؟ ( يتقدم الشاب متحدياً )

**المرأة المجنونة :** برافو برافو ..

تخافون ممن ؟ ( تضعك )

أوافقكم .. انهم لا يخيفون .. ليسوا يخيفين ..

هم ودعاء اليفون لا يعرفون الاذى ..

**الضابط الاول :** ( هامساً ) جينا

**المرأة المجنونة :** او .. ماريو

**الضابط الاول :** ( بانفعال ) جينا كفى

**المرأة المجنونة :** ( تخاطب الجماعة ) ..

أترون .. وحق اذا ثار ثائرم فهو كالقط يتبع

ثورته بالرضى .. ( تضحك )

الضابط الثاني : لماذا تجهرتم هكذا ؟

الامام : ايها الضابط اسمع

الشاب : لقد جمعنا الصلاة

المرأة المجتدة : برافو .. اتسمع قال الصلاة  
ممنوعة هي ؟

الضابط الاول : ممنوعة

المرأة المجتدة : ( بدهشة ) يا إلهي

الضابط الاول : لا تمزحي

المرأة المجتدة : ماريو .. لكنه الدين

الضابط الاول : دين محمد

الضابط الثاني : وليس المسيح

المرأة المجتدة : ( ساخرة ) وما الفرق بينها يا فصيح

الضابط الاول : هو الفرق ما بين روما وبرقة .. ما بين دير  
عظيم ومسجد .

المرأة المجنونة : كلا المسلكين طريق الى الله

الضابط الاول : جينا أغرقت في السكر .. جينا

المرأة المجنونة : عزيزي ما كل هذا التجبر ؟  
ولم نحن مستهترون قساه ( بتأفف )  
انا لا اصدق

الضابط الاول : ( بلهجة أمرة ) جينا اذهبي ..

المرأة المجنونة : لا

الضابط الاول : أتعصين أمري ؟

المرأة المجنونة : أمرك انت

الضابط الاول : أتسين انك ..

المرأة المجنونة : أني ماذا ؟

الضابط الاول : مجنونة منذ عام

المرأة المجنونة : نعم لست انكر .. لكن جينا مسيحية  
وتصلي ..

وها آنذا يا عزيزي أصلي

( ترسم علامة الصليب )

الضابط الاول : اذهبي (يُدفعها فتكاد تسقط وهي تتأوه) ..

المرأة المجتدة : ايها الهمجي

الضابط الثاني : أمسلة أم مسيحية أنت ؟

المرأة المجتدة : لا فرق عندي بين المسيح وبين محمد

الضابط الاول : غداً تعرفين .. اذهبي ( يركلها فتقع .. يحاول الضابط الاخر أن يرفعها ) ..

المرأة المجتدة : كيف تجرؤ كيف ؟ دعوني .. حقا وحوش ملطخة بالمساحيق ..

انتم جميعاً وحوش .. دعوني ..

الامام : اذهبي يا ابنتي

الشاب : ايها الضابط اسمع

المرأة المجتدة : ( تلم اطرافها .. وتراجع بحقد وذعرا وتحدي ) وحوش .. ذئاب .. طفاة ( تختفي )

الضابط الاول : (لزميله)

غداً ستحاكم ( منتفخاً مغروراً ) ..  
وأنتم عصاة .. وتحتقرون الفاشيست ..  
أليس كذلك ؟

( يستدير حول الشاب حق يقف في مواجهة  
الامام .. )

لقد أعجبتك ( مشيراً الى جينا بسخرية )  
اذهي يا ابنتي ..

أو ليس كذلك  
ولكنها ستحاكم

وتشهد أنت عليها ( لاحد الشيخين )  
وسوف تحاكم انت ( للشاب الذي يتوتر شيئاً  
فشيئاً )

وتشهد انت عليه ( يد الشاب تمتد الى فتحة  
في ملابسه دون ان يراه احد )  
( الضابط يعود الى احد الشيخين )

: ( ممسكاً بمسبحته )

الشيخ

له الامر والنهي .. سبحانه الله سبحانه وحده  
الله ربي

قل لن يصيب ...

الضابط : ( يشد المسبحة فتقطع وتتناثر حباتها )  
فيم تهذي ..

الشيخ : ( مستدراً ) أعوذ به وحده ..

الامام : ايها الضابط ارفق بشيخوخة الشيخ ..

الضابط الاول : ( ساخراً )

معذرة أيها الشيخ .. معذرة ( يلمح المصحف  
في طيات رداء الامام )  
أعطني ذلك الشيء ..

الامام : شيء . انا لست احمل شيئاً .

الضابط الاول : امام وتكذب ؟

الامام : حاشا لقائله .. انما ليس هذا بشيء كما قلت

( يخرج منه متحدياً )

هذا كتاب كريم

الضابط الاول : ( ساخراً ) كتاب محمد

الامام : كتاب إله محمد

**الضابط الاول :** اذن أعطنيہ ..

**الامام :** محال .. فلست بطاهر

**الضابط الاول :** ( متجها ) سأخذه عنوة واقتدارا ( ينتزعه بالقوة )

**الشاب :** ( وقد بلغ به التوتر اقصاه ) وما هوذا

( يلقي به الى الارض ويطأه )

ايها الكلب كافر ( ينتزع الشاب خنجراً من صدره ويهم بقتله .. يلححه الضابط الاخر ) ..

**الضابط الثاني :** حذارك .. خذ منه حذرك ..

( صارخاً )

ماريو .. تلفت وراءك ..

( يطعنه الشاب في مقتل قبل ان يتلفت ) ..

**الضابط الاول :** ( وقد أصابته الطعنة يدور حول نفسه متقلصاً

في حالة النزاع الاخير )

آه .. لقد قتلوني كأني احلم .. قتلت بطعنة

هذا .. بخنجره ..

الدم يغسل خنجره .. كلهم قتلوني .. اشنقوهم

ولا ترحموا أحداً ..

احرقوهم جميعاً .. فقد قتلوني .. آه الحناجر  
تثقب جسми ..

ألوف الحناجر تثقب جسми .. آه ..  
( يسقط قتيلاً .. يكون الشاب والضابط  
الآخر في صراع مميت ..

الامام التقط المصحف وقبلة .. الشيخان  
يتواريان ببطء عند منعطف الشارع .. لم يبق الا  
الرجل الحليق الذي وقف متردداً مضطرباً ..  
لا يتدخل في الصراع .. ينحني على الضابط  
القتيل يجس نبضه ..

الشاب يتغلب على الضابط الآخر فيطعنه  
ويسقط متأوها .. يسرع الشاب بالاختباء ..  
أشعة الشمس تضيء تدريجاً .. الرجل الحليق  
يركض الآن هارباً .. بينما الستار يهبط نلمحه  
في نهاية الشارع نافخاً في صفارته .. )

## الفصل الثاني



## المشهد الأول

بضعة بيوت طينية متناثرة ، بلا أبواب أو  
سقوف .. تحوطها اشجار نخيل ..

بقايا الحرائق والادخنة التي ما تزال ترتفع  
مرتسة على البيوت .

العجوز العمياء ( ام سلمى ) تجلس القرفصاء  
وحدها في ساحة القرية ، وهي تنبش الرمال  
بعكازها .. أنين مجهول المصدر ،

تحرك رأسها في حيرة .. تندفع الفتاة سلمى  
خارجة من أحد طرقات القرية ، في حالة  
اضطراب وهلع .. الوقت منتصف النهار ..  
صيف ) .

سلمى : كل شيء حطامٌ هناك ..

العجوز العمياء: جميع البيوت؟

سلمى : جميع البيوت ؟

العجوز العمياء: جميع الزوايا ؟

سلمى : جميع الزوايا

العجوز : وماذا رأيت كذلك ؟

سلمى : قتلى كثيرين

( تبكي العجوز .. تصمت سلمى قليلا )  
امي

العجوز : قولي :

سلمى : هنالك بعض النساء العرايا

العجوز : نساء عرايا على الدرب .. واخجلتاه ( تقف )

سنأتي لهن ببعض الثياب خذيني اليهن ..

سلمى : ( مترددة ) لكنهن .

العجوز : سيخجلن من رؤيتي ( بحرارة ) غير اني واثقة "

انهن سيخجلن عني  
سيعذرني حين يعرفن سني (بأسف) البريئات  
آه .. كآني بهن وقد أكلتهن نار الهجير ونار  
الجماعة .. قلبي عليهن .. كيف تحملن تلك  
الفظاعة ..  
( تتلمس المخلاة ) عندي لهن قليل من الماء  
والخبز ..

- |        |  |
|--------|--|
| سلمى   | : ماء وخبز ؟ وما من ثم يشتهي                                     |
| العجوز | : سأغضب منك  |
| سلمى   | : أيشعر من مات بالجوع ، أو بالخجل<br>أيملك حق البكاء ، وحق الأمل |
| العجوز | : كأنك لم تخبريني بكل الذي تعرفين                                |
| سلمى   | : أجل .. أنهن .. لقد شنقوهن ..                                   |
| العجوز | : يا للجريمة   |
| سلمى   | : عشر نساء هناك بغير ثياب<br>معلقة في العواميد اعناقهن           |

تروح وتغدو بهن الرياح  
فتهتز سيقانهن ( تلتصق بها خائفة )  
وحيث تلفت أبصرت أوجههن ..  
تحقق في ، وأفواههن تسيل دماء وتضحك  
( تنفجر ) أفواههن

الحزينة كانت تسيل دماءً وتضحك .

: سلمى لك الله ( تحضنها وتربت على شعرها

العجوز

: حينئذٍ خفت خفت عميقاً ولم أبك ..

سلمى

رحمت أحقق فيهن خائفة ، ثم مدت يديها امرأة ..

: ( بحنان ) إنه الخوف صورها لك .. سلمى هو

العجوز

الوهم ..

: ما كنت واهمة .. وكنت .. كنت محذقة حين

سلمى

راحت محرّكة في الهواء يديها ..

و كنت اراها بعيني توشك تفعل شيئاً وتفشل .

ثم تعود تمد يديها ببطء لتفعل شيئاً وتفشل ..

: أدركت ما هو

العجوز

سليم

: كانت كمن أبصرت حلما مفزعا .. شعرت أن  
وحشا كريها يدوس على صدرها ..  
فأزاحته خائفة .. أبعدته فلم يبتعد ..  
كان شيئا فظيحا .. فظيحا .. ولما تهالك من  
فوقها الشيء راحت تجس الجراح .. تغطي  
كرامتها وهي ميتة بيديها .

العجوز

: سندر كها إن تكن حية

سليم

: لم تكن حية قط .. كانت هي الموت والعار ..  
كانت مجللة بالهوان  
وكانت ..

العجوز

: ( ترفع يديها في سخط مقاطعة ) ..  
وما زال رمل الصحاري كما كان ..  
لم يلهب بالبراكين  
لم ينفجر بالزلازل  
تمنيت لو كنت أرضا تقاتل  
جيوشا تقاتل

تمنيت لو كنت كل الشعوب .. وكل القبائل ..

ولكن سيأتي الزمان ..

سيأتي عمر .. يا عمر .. يا عمر .. يا عمر ..

## المشهد الثاني

( مقر قيادة عمر المختار ، في احد كهوف الجبل الاخضر ..  
عدد من المجاهدين بالخارج يراقبون حركة العدو .. عمر يقف  
بباب الكهف .. شيخ وقور تجاوز الستين ، وجهه أميل إلى  
السمر الداكنة .. ذو لحية بيضاء مستديرة - ام سلمى في  
مواجهة عمر وقد أعطت ظهرها للمشاهدين بحيث لا تتضح  
شخصيتها تماماً .. قائدان مقنعان ، أحدهما راشد والآخر  
المنصور يجلسان بالداخل يتحدثان .. كل منهم سلاحه في متناول  
يده .. )

ام سلمى : كثيرٌ .. هم ..  
عمر المختار : وقبلهم كثيرٌ تبدد ريجهم ، وغدوا رمالا  
فلا تحزنك كثرتهم ..

ام سلمى

: ( باشفاق ) واخشى عليك الفدر لا أخشى  
القتالا ( بتوسل ) بربك لا تم فالخضم صاح  
يمد اليك يا عمر الجبالا .. ولو أسروك ،  
أو قتلوك ويحي إذن قتلوا الارادة  
والنضالا .

عمر

: رعاك الله ، هل تدرين ماذا وراء الافق ؟

ام سلمى

: آفاق توالي ..

عمر

: كذلك تولد الثورات ليست تموت وتملأ الدنيا  
رجالا .

ام سلمى

: سأمضي ( تتأهب للخروج )

عمر

: في أمان الله ، لاجزع ولا ضراء .  
( تخرج دون أن تلتفت .. عمر يعود إلى مكانه  
بجانب القواد الثلاثة ) . .

عمر

: ( للقائد راشد )

راشد

: أتعرف من تكون ؟

بلى وتعرف خطوها الصحراء

ويعرفها الاخ المنصور

المنصور : اذكرها ، فذات مساء

وانت بمصر حينئذ وراء مواقع الاعداء وكنا  
ندفع الخذلان بالكفين والاغراء ونوشك أن  
نقول كفى لحرب الجوع والاعياء وإذ بورية  
مصغرة مخبوءة بدهاء تجيء بها اليانا من لدنك  
كريمة الانباء لقد كانت رسالتك الصغيرة باب  
كل رجاء ..

عمر : ولا تنسوا فقد ضحت بأربعة من الابناء قضوا  
في المرج .. والجغبوب .. والزاوية البيضاء ..

المنصور : لماذا لم يجيء للآن ..

راشد : من ؟

المنصور : عبدالسلام

راشد : ( يتطلع في ساعته ) الآن سوف يجيء ..

( يدخل عبد السلام السوداني )

هاهوذا

عبد السلام : السلام على الجميع ( لعمر ) عليك يا عمر  
السلام

عمر : عليك يا عبد السلام

عبد السلام : بحمد الله ، قافلة العتاد أتت ..  
وكان خروجها في رحلة السلوم ..  
مخاطرة ، فقد علم العدو بها

عمر : ترى هل أن جاسوساً هناك يحوم  
أم كانت مصادفة ؟

راشد : وفي الأبيار هل كانت مصادفة ؟  
أما قطعوا الطريق عليك يوم رجعت يا عمر ؟  
ألم تجد العدو هناك ينتظر ؟  
أما كادت أياديهم تطول اليك ؟  
لولا أنه القدر

المنصور : هنالك خائن يتعقب الثوار أو مرتد

عمر : ستلحقه خيانتته وإن طال الزمان به ..  
وماذا بعد :

عبد السلام : فاجأنا العدو بناره حتى لقد كدنا  
ولكننا تذكرنا ثرى ليبيا فعاودنا  
وجددنا عزائنا .. وشددنا  
عليهم ، ثم قربنا وأبعدنا  
إلى أن مات آخرهم فغادرنا  
وغربان الدجى تنعاه

راشد : ( يقف على باب الكهف متطلعا )  
تلبدت السماء

عمر : لنستعد

المنصور : اجل

عبد السلام : لدينا كم من الفرسان ؟

عمر : خمسمائة ، والى مجاهد

عبد السلام : وعدونا ؟

عمر : حشد بلا عدد ، خلاف مدافع الميدان

عبد السلام : وكم طيارة ؟

غمر

: مائتان غير تدفق المدد  
وتسع مصفحات ضخمة ..

راشد

: والآت ؟  
قلب الخطة الجبلان

عمر

: ( يوجه الحديث إلى راشد )

ستتخذ الطريق الاسفل الملتف بالوادي  
( للمنصور ) وتكمن أنت ما بين الجبال السود  
حق إذ هجعت أنا على أسوار درنة

أطلقوا النيران  
ولا تقفوا فان تدفق النجدات

أخطر ما تواجهه ..  
وسوف يكون أرض الملتقى الجبلان  
فباسم الله

الجميع

: باسم الله

عُمر

هيا أيها الأخوان

يختطفون بنادقهم ويخرجون .. عمر في

المقدمة .. حين يسود الظلام .. تسمع اصوات

المعركة .. تتلاشى تدريجياً .. ) .



## المشهد الثالث

( مكتب الجنرال غرازياني .. الاثاث بسيط نسبياً .. فوق الطاولة التي جلس عليها القائد ، عدد من الاعلام الصغيرة ، ترمز الى الفرق المحاربة تحت قيادته .. وراءه نافذة واسعة مفتوحة على الساحة الرئيسية في المعسكر الى يمين الداخل باب جانبي مغلق .. غرازياني يتحدث في التليفون .. )

غرازياني : لم يوقفوا هجماتهم ..  
عمر الذي يستنفر الثوار  
من اجل هذا قد أتيت  
اجل علمت  
إرادة الدوتشي نافذة

سأحرق دورهم وخيامهم  
وأسمم الآبار ، والانهار في الجبل اللعين  
كانوا يرون الموت افضل  
كثعالب الصحراء تقتحم المعسكر كل حين  
الموت او شرف الحياة  
وقد يكون الموت اسهل  
يا سيدي الجنرال  
أمهلني ثلاثة اشهر  
وسأشتري بالمال رأس زعيمهم  
لا لست اعني اننا لن نستطيع قتاله ، فلسوف  
'يقتل'  
حسناً سأفعل  
حسناً سأفعل

(يضع السماعة .. يضغط زرأ بجانبه ..  
يقف ويتحرك منفعلاً .. يدخل جندي  
مضطرباً .. يؤدي التحية العسكرية ) ..

الجندي : سيدي

غرازياني : الكولونيل سريعاً

( يخرج الجندي بعد التحية .. يعود  
غرازياني إلى مقعده .. ينحني على خريطة  
فوق مكتبه .. كأنما يناجي نفسه ) ..  
عمر ..

هو أو أنا في هذه الأرض ، روما بكل  
بطولاتها أو عمر .. ( في جنون )

الرياح ، الجبال ، الخيام ، الظلام .. عمر  
أيها الثائر البدوي ستعرف من أنا  
( يدخل الكولونيل مالتيني يؤدي التحية )

مالتيني : امرك يا جنرال

غرازياني : ( كمن لم يسمعه )

أنا أو عمر

مالتيني : (مقترباً )

ما الذي يزعج الجنرال

غرازياني : أتسخر يا كولونيل

مالتيني . ( مندهشاً ) لقد كنت أسأل

غوازياني : تسأل

مالتيني : كنت اريد اقول انتباه أحمد

غوازياني : لماذا انزعجت

مالتيني : تماماً

غوازياني : تماماً

مالتيني : أأخطأت

غوازياني : ( ساخراً ) عفواً .. وها أنت ما زلت تسأل

أليس كذلك ( مستند ثانية بقرف )

سؤال حكيم دليل النباهة يا ايها الكولونيل

المفعل ( ضاحكاً ) ..

لماذا انزعجت ( صارخاً )

اما زلت تسأل يا ككولونيل

مالتيني : ( وقد ارتج عليه ) ولكنني ..

غوازياني : ( مقاطعاً )

دائماً .. دائماً شوكة الحلق ..

نفس الحكاية .. لكن .. ولكن .. ولكن  
( بغضب اشد ) افق ايها الكولونيل .. افق ..

: سيدي الجنرال .. لقد .

مالتيني

: ( لا يدعه يكمل ) كن جديراً باجماد روما  
العظيمة ..

غرازياني

كن طاغية ..

احرق الزرع والحصن والنجع والزاوية

اقتل الناس حيث يكونون ، والماشية

لا تكن عاطفياً .. تجبر .. تجبر ..

دس الطفل ، والشيخ ، والمرأة الباكية

: سيدي الجنرال

مالتيني

: ساعطيك آخر مهلة

غرازياني

: سابدل جهدي

مالتيني

: لقد قلت ، آخر مهلة

غرازياني

( اشارة انصراف من الجنرال . . يخرج

الكولونيل .. يسمع صوت نفيير ونداءات

عسكرية هنا وهناك - حركة سيارات  
وخطوات جنود .. تلوح الخوذات وفوهات  
البنادق التي يحملها الجنود وراء النافذة ..  
يميل الجنرال قليلا بوجهه تجاه النافذة ..  
يسد جرس التليفون .. فيعود الى مسند  
مقعده .. يمسك بالساعة

غوازياني : قليلا من الصبر ..

كيف .. واين

ومن اخبرك ؟

يا الهي .. أحقا ؟

لقد كدت ان انهرك

ارسلوا الجثة ..

انتزعوا الرأس

لا بأس

لا بد ان نتأكد منه ..

سأخبر روما

لقد كان شبه محال

بلى يا عزيزي بغير جدال ..

( يضع السماعه .. ينهض بايدي الاهتمام ..

يدور حول المكتب .. يتجه ناحية الباب

الجانبى المؤدى الى مكتبه .. دون ان

يفتحه ) ..

أيعقل هذا .. اكاد اجن

انتهت اذن الحرب

الحق انى است سعيداً بذلك

ان تنتهى الحرب ..

انى اكاد اجن

( يدفع الباب ، فينفتح ، تصدر اصوات

آلات اللاسلكي عالية مستمرة .. يطل

قليلا - يشير إلى شخص بالداخل .. يعود إلى

مكتبه .. جينا تتبعه ) .

الجنرال

: ( ينظر اليها ) بلغيتها لروما ( لنفسه ) ..  
وان كنت لست اصدق ..

جينا

: ( تتناول الورقة بدهشة ) سمعاً وطاعة  
( تخرج .. يحدث الجنرال نفسه )  
وماذا يضر إذا صح ان جنودي قد اوقعوا بعمر  
أليسوا جنودي

ليس الرصاص رصاصي  
ألم تك خطتهم خطتي ؟  
فلماذا إذن لا اسر كثيراً لهذا الخبر  
( يضحك في خبث )

ايها الجنرال العجوز  
لقد أكل الحقد قلبك ، والجثة البالية  
لا تروق لعينيك  
لا تطفئ الظمأ المستبد يجنبك ( يحلم )  
ما كان أروع وهو يخجل في قيده  
والدماء تلتطخ جبهته العارية بينما أنت تجلس  
فوق منصتك العالية

( كانوا قد تمثله أمامه )

أيها الشيخ كنت عدواً لروما .. اعترف  
انني باسم روما ادينك

اصدر حكمي عليك .. وحكمي هو الموت

( يخرج مسدسه من حزامه )

حكمي هو الموت ( يطلق ثلاث رصاصات  
على شبح يتمثله .. يدخل على اثر الطلقات من  
جوانب المسرح ، بعض الجنود يتقدمهم  
الكولونيل مالتيني ، في حالة استنفار ..

تظهر جينا على الباب الجاني ، هادئة ، وقد  
أمسكت في يدها بورقة .. يستعيد الجنرال  
حالته الطبيعية .. يحدق في وجوه الجنود  
الذين وقفوا مدهوشين .. )

( يلتفت ببرود ناحية جينا )

جينا ؟ ماذا لديك ؟

أثمة شيء

جينا : رسالة روما

الجنرال : وماذا تقول ؟

جينا : ( تقرأ ) يرقى الجنود جميعاً

الجنرال : ( بفرح مفاجيء ) اجل سيرقون (بعد لحظة)

اني ارى ان يرقوا ( منتفخاً )

فان مكافأة العاملين

ضرورية لنجاح العمل ( للكونونيل )

ايها الكونونيل البطل

( يتقدم الكونونيل خطوة ويؤدي التحية ) ..

يا عزيزي منحتك هذا الوسام ( يقلده وساماً ) ..

يستدير وباسم العزيزة روما أعلقه فوق صدرك

إلى الجنود الثلاثة .. )

يا ايها الجند اني فخور بكم

ومن الآن انتم ..

( تسمع صرخات من الخارج .. يندفع على

اثرها الملازم - ممزق الملابس ، ملطخاً

بالدماء ) ..

الملازم : ( لامثاً ) لقد عاد

الجنرال : من

الملازم : عمر

الجنرال : عاد من موته

الملازم : لم يكن مات يا سيدي

الجنرال : كنت اعرف ذلك

الملازم : كانت مناورة أو خديعة

الجنرال : كنت معتقداً أنه لم يمت

( يستدير ناحية الكولونيل الذي بدا عليه  
الارتباك )

يا عزيزي .. يا كولونيلي الشجاع تكلم

الكولونيل : اذا صح ما قال فهي فجيعة

الجنرال : ( للملازم ) وأين تقابلتما

الملازم : كنت متجهاً يجنودي عبر الجبل

فاذا برجال عمر

يقطعون علينا جميع الدروب  
وسال رصاصهم فوقنا كالطر  
وصمدنا لهم ساعتين  
ولما تكشفت المعركة  
عن كلا الجانبين

كنت ملقى جريحاً  
وكل الكتيبة ما بين بين  
الذي مات مات ، ومن لم يميت قد أُسر  
وتعشرت في الرمل حتى نجوت

الجنرال

: ( مكمل ) والقت عليك ستائرهما الليلة المظلمة

وانهزمنا وفاز عمر  
دائماً في معاركه ضدنا

دائماً ايها الكولونيل يفوز عمر  
وتفوزون بالفخر والاسمة ( زاعقاً يحنون )  
ايها الكولونيل اقترب  
ان هذا الوسام ثقيل عليك  
فدعه لغيرك يحمله عنك ( ينزع الوسام ثانية )

اغرب الآن ( يخرجون جميعاً .. ما عدا جينا  
التي تظل واقفة بالباب ) ..  
جينا .. اتعتقدين بأني انهزمت .  
( تفتح فاهها لتتكلم فيشير اليها  
بالسكوت )

بلى انت تعتقدين بأني انهزمت امامه  
( يضحك )

وهذا محال المحال

( فجأة ) اطمأني ..

فسوف اقيم ببرقه يوم القيامة

: ( بدهشة ) تقيم ببرقه يوم القيامة

: سأسجن سكانها اجمعين

تقولين كيف .. وتستغربين

سأجمع كل القبائل .. كل العوائل

اغنامهم ، ابلهم ، لن افرق ما بين عال و صافل

ما بين طفل بريء العيون وقاتل

: واين ستسكنهم ؟

جينا

الجنرال

جينا

الجنرال

: في القليل الأقل من الأرض

حيث يبيض الوباء وتعوي الجماعة

بعد الجماعة ، بعد الجماعة ( لحظة صمت )

اراك تجهمت .. توشك عيناك أن

تصِفًا فكرتي بالفضاعة ( يحنون )

هل قلت في السرياء للفضاعة

لا بأس .. هذا يؤكد لي انها فكرة عبقرية

جينا

: ( بألم ) ستقضي عليهم جميعاً بهذا

الجنرال

: سيهلك الفان ، عشرون الفا ، ثمانون ..

أو ربما

جينا

: ثم ماذا

الجنرال

: ساقضي على عمر والذين معه

جينا

: كيف؟

اجعلهم في الصحارى وجوهاً بلا اقنعة

سيوفاً بلا أذرعة ( يضع يده على كتفها في

سعادة وانتشاء ) ..

جينا لا تعجبي ، فالطريق إلى نائر كعمر  
هو أن نغزل الشعب عنه ( ببطء قاتل )  
فيضعف شيئاً فشيئاً .. شيئاً فشيئاً ..  
إلى أن يداومه القدر المنتظر .

( يضعك مقهقهاً .. بينما تنظر إليه جينا  
بدعر واشمزاز - ينزل الستار ) ..



## الفصل الثالث



## المشهد الاول

( جانب من معسكر كبير ، تحوطه الاسلاك الشائكة ..  
فوق الزاوية المواجهة للمسرح .. علم إيطالي .. ويحاذيه لافتة  
مكتوب عليها : معسكر العقيلة .. بالداخل خليط من الاهالي  
ونساء ورجالا وشيوخاً واطفالا - في حالة اضطراب ..  
وفوضى .. اصوات سخط وخوف وحيرة .. حارسان ايطاليان  
مسلحان يقفان خارج المعسكر .. احدهما دائم الحركة بمحاذاة  
السور .. الآخر يجلس على حجر كبير وهو يصفر ببلاهة .. بعد  
قليل يخرج من جيبه الخلفي زجاجة خمر ، ويتناول منها جرعة ..  
الوقت عند الظهيرة .. )

امرأة مجنونة : ( تندفع من خلل الزحام والضوضاء ، منكوشة

(الشعر)

امطري يا سماء عليهم لظى  
امطري غضباً .. امطري لعنات

امرأة اخرى : قتلوا ولدي

امرأة ثالثة : احرقوا خيمتي

المرأة المجنونة : امطري لعنات

شيخ مسن : آه لولا الكبر

الثالثة للمجنونة : اصبري يا ابنتي

الشيخ : نحن أهلٌ لما نحن فيه

رجل دين : وقال الرسول : سيأتي زمان على امتي

رجل عمول : القيامة قامت

الرابع : سيقتلني القهر

الشيخ : أمس استراح سعيد من القهر

رجل الدين : لم يحتمل ان يرى

الرابع : كان ما بيننا واقفاً .. ثم خر .. ساقطاً كحجر

رجل الدين : وكثيرون ماتوا لنفس السبب

الشيخ : صدقوني سيأتي عمر

الرجل المجنون : وسأتي انا معه حاملا حربتي

الرابع (الثاني) : عذبه فجن .. وفيه العجب ؟

الرجل المجنون : صدقوني سيأتي عمر

الثاني : ليتنا قد خرجنا معه

الاول : لو نفخنا بأفواهنا لتكلمت الزوبعة

المرأة الاولى : أمطري لعنات

الجندي الاول : اسكتي يا امرأة

المرأة الاولى : قتله .. قتله ..

الشيخ : يا كلاب اوربا اطمثنوا قليلا

وكم من فئة

الجندي الثاني : ايها الشيخ شكراً

الجندي الاول : أتشكره للشتيمة

الجندي الثاني : ( ضاحكاً ) قال اطمثوا

الجندي الاول : اطمثوا.. ولقّبنا بالكلاب

الجندي الثاني : وما الفرق يا صاحبي ( ثم ينهض ويصعد على الحجر )

ايها القوم يا أهل ليبيا اسمعوا

الشيخ : ( الضوضاء مستمرة ) تسمعون الوعود

الرجل الثالث : تسمعون الوعود

الشيخ المسن : زمان العجائب هذا زمان العجائب

رجل الدين : يا رب رحماك

الرجل الثالث : استغفر الله .. وجه الخطيب يذكرنا بالقروء

الرجل المحبول : وماذا يريد يقول ؟

الجندي الاول : اسمعوا .. بل وعوا

الرجل الثالث : قد سمعنا فماذا تريد تقول ؟

( يقترب الجندي الثاني ويقف متطلعاً )

الجندي الاول : لماذا تخافوننا؟

الجندي الثاني : ولماذا السؤال ؟

الجندي الاول : لماذا ؟ لاعرف افكارهم يا جهول

الجندي الثاني : الاجابة في هذه البندقية  
( قالها ومضى في حركته البندولية اللامبالية )

الشيخ المسن : ( يسأل من يحواره )  
أعد لي ما قال يا ولدي ان شعبي ضعيف

الجندي الاول : ( بأعلى صوته لزميله )  
وماذا إذا امتلكوا مثلها

الجندي الثاني : ( من بعيد ) هه ..

الرجل الثالث : يقول الاجابة في هذه البندقية

الجندي الاول : اني أرى انكم خائفون من الخوف

الشيخ المسن : .. أشهد أن الخطيب الصفيق يقول الحقيقة

الرجل الثالث : أفحن نخاف من الخوف

الشيخ المسن : يا عمرو لا تتعجل وماذا تسمي الذي نحن فيه ..

الرجل الثالث : هو الضعف

الشيخ المسن : سيان ..

رجل الدين : لا .. لا ففي قلة الدين شراً لبلية

الجندي الثاني : ( يقترب ثانية )

كفاكم زعيقاً ( تصرخ المرأة المجنونة )  
وأنت اعقلي يا امرأة

المرأة المجنونة : امطوري لعنات

الشيخ المسن : هو الخوف يا عمرو

الرجل الثالث : يا خالقي ملء حلقي مراره

الرجل المجنون : سوف يمحيء

المرأة المجنونة : الكلاب

الجندي الثاني : اخرمي يا امرأة

الرجل الثالث : نحن مثل الذين يفتون أوجههم بالتراب ..

ويستنكفون إذا ما وصفت ملابسهم بالقدارة

( يهس الرجل المجنون ببضع كلمات في

أذن الشيخ المسن ، ثم يبتعد ضاحكاً .. بينما

تتابعها المجنونة ثم تلتقط حفنة تراب ،

وتقذف الجندي الاول ولكنه يترك جانبا  
قبل أن يصيبه الرذاذ ويصيب الجندي  
الثاني .. )

الشيخ المسن : أصبت

الجندي الثاني: صبرت عليك طويلاً - ولا بد أن ..  
( يشد زناد بندقيته ويصوبه نحوها )

المرأة المجنونة : أمطري لعنات ( تتقدم فاتحة صدرها )

الجندي الثاني: دُع الحق .. وأحذر ..

المرأة المجنونة : أتخسني خفت .. هيا .. هنا يرقد الخوف  
ميتاً .

فخذ جثة الخوف .. خذها وُعد لبلادك  
( ترتعش يد الجندي )

عد لبلادك .. ويعتريه رعب هائل .. تحقق  
في وجهه وتقهقه ) .

ها انت تحملها بين كفيك  
تحملها بين عينيك

تحملها بين جنبيك

هه .. هه

( يتلفت الجندي الى زميله ، ثم يخفض  
بندقيته .. ويرجع الى حركته الجندولية ..  
تتوجه بحديثها الى زملاء المعسكر )  
يقولون مجنونة .. انا مجنونة .  
ايها العقلاء

( تنخرط فجأة في البكاء .. تقترب المرأة  
الثالثة وتربت على كتفها مواسية ) ..

: اصبري يا ابنتي

المرأة الثالثة

: انا مجنونة ؟

المرأة المجنونة

: لست مجنونة انما هؤلاء

المرأة الثالثة

: كلهم هؤلاء - هؤلاء ..

المرأة المجنونة

( تتقهقر بذعر .. تنفلت هاربة وتختفي في

الزحام ، يظل الضجيج )

: صدقت ، فالجانين نحن ..

الرجل الثالث

الجندي الثاني: ( يتحدث الى شخص قادم نحو المعسكر )

قفي من تكونين ؟ اقبلت من اين ؟

العجوز العمياء: ( تظهر العجوز العمياء تقودها الطفلة سلوى )

من هذه الارض ..

الجندي الثاني :لاتسخري تقدمي .. قلت من اين ؟

( تكون قد اقتربت فيتأكد من شخصيتها )

ايتها الذئبة الماكرة

كل يوم تدورين مثل الرحي الدائرة

اولم تتعبى ؟

العجوز العمياء: هل شكوت اليك ؟

الجندي الاول : يقولون انك اعلم قارئة للغيوب

العجوز العمياء: العلم هو الله ( تقعد أرضاً وتحرك عصاها )

الجندي الثاني: ( ساخراً ) يا صاحبي سيموت

سوف تموت غريباً ، وترقص رجلاك يومين في

المشنقة ثم من بعد شنقك فوق شعاب الجبل

سيقولون عنك بطل ( يقهقه ويعود

( لحرکتہ )

العجوز العمياء: ( بغضب ) لا تصدق فسوف تعيش

وغيرك من سوف

يشنق فوق الجبل ..

ثم يغدو بطل

لا تصدق ( يكون الجندي الثاني قد اقترب

ثانية )

الجندي الثاني: كفاك اذهبي يا عجوز .. اذهبي

المرأة المجنونة : ( من الداخل )

امطري لعنات

امطري .. امطري

اصوات متداخله وضجيج : يا ابنتي

سوف يأتي

الكلاب

سيأتي عمر

يا عمر .. يا عمر ( يتقدمون تجاه الاسلاك ) ..

الجندي الثاني: ( وقد أخذ وضع إطلاق النار )  
في المعسكر .. لا تترفق بهم .. فهي ثورة ..  
ثورة ..

الجندي الاول : أطلق النار

صوت داخلي : يا ليبيا حرة أنت .. يا ليبيا انت حرة ..

الجندي الثاني: أطلق النار

الجندي الاول : لا تتوقف

صوت من الداخل: كلاب

الجندي الثاني: هنالك

صوت من الداخل: يا ايها المجرمون

صوت آخر : سيأتي

صوت آخر : عمر

صوت امرأة : آه

صوت من الداخل: يا ويلكم

آه .

( تختلط الاصوات وطلقات الرصاص ..  
ويحاول بعض الموجودين بالمعسكر تسلق  
الاسلاك فيسقطون قتلى وجرحى .. تشتعل  
بعض الحرائق .. يندفع جنود من جوانب  
المسرح .. يأخذون في إخماد الثورة ..  
رويداً رويداً يسيطر الهدوء .. يظهر  
غرازياني ومعه بعض معاونيه يتحرك بعصبية  
وهو يتفقد آثار المعركة .. الادخنة وبقايا  
الحرائق ما تزال .. يشير غرازياني إلى أحد  
الاحياء داخل المعسكر .. )

**غرازياني :** اعدموا هذا ( يندفع جنديان فيقتادان  
الرجل )

وتلك المرأة السمراء ( يندفع اليها جنديان  
آخران بينما يميل غرازياني على من بجانبه )  
في نظرتها حقد دفين علينا

**المرأة السمراء :** ( تحاول الانفلات من بين أيدي الجنود )  
ايها الكلب

غرازياني

: ( للجنود ) وذاك الرجل الاشيب ( لمن بجانبه )

مشروود على عكازه كالمومياء ( يضحكان )

( للجنود ) واجلدوا تلك .. امامي الآن ..

( صارخاً ) جروها .. وتلك المرأة العمياء

( بعد لحظة )

اوه .. انها قارئة الغيب .. دعوها

( لمن بجانبه ) تقرأ الغيب وقد تصدق احياناً

( للجنود ) دعوها

( لمن بجانبه ) انها لا تعرف الكره ولا الحب

ولا ..

( للمرأة العمياء ) يا ام سلمى ابتعدي ( لمن

بجانبه ) لو انهم كانوا جميعاً مثلها ارتحنا

( يضحكان ) ..

المرأة السمراء: ( صارخة وهم يمزقون ملابسها )

كلاب .. يا كلاب

غرازياني ( للجنود ): علقوا في رأسها الحبل

( لمن بجانبه ) ولا ارتاحوا . . ( لنفسه ) وان  
كنت سأشقى أنا وحدي بالتفاهات التي تدعى  
السلام . .

: ( قادم من جانب المسرح )  
قائدي

جندي

: ( ينظر اليه دون اهتمام )

غرازياني

حينئذ يحدو عناق الموت ( يهمس الضابط الذي  
بجانبه في اذنه يضع كلمات ) ما المرأة ؟  
ما الحب ( ساخراً ) الجمال القوة ، السطوة ،  
ان تقتل لا ترحم ، لا تعرف إلا الانتقام  
( يضحك ) يا صديقي بعضهم مهنته الحرب  
واما انا فالحرب حياتي الابدية . . ولهذا أكره  
السلم . . بلى فالسلم جاسوس قديم في ضمير  
البشرية ( يلمح الجندي واقفاً ) ايها الجندي  
ما بالك ؟

( يقترب ويهمس في اذنيه ) القيت عليه

القبض حياً ؟ وتعرفتم عليه ؟ ( يضحك ساخراً ) .  
أطويل أم قصير هو ؟ ضخيم ملتحم ؟  
كهل مسن ؟ أم صغير ؟  
ومن الفارس ؟ من القى عليه القبض ؟  
هل انت ؟ ام الفارس غيرك ؟  
قل تكلم

الجندي : ( بخوف ) كان بين اثنين من اعوانه حين  
دهنام وما زلنا بهم ، حق هوى الاثنان  
مقتولين . .

الجنرال : ( ساخراً ) ثم استسلم الشيخ ، كما يزعم حياً ،  
وتعرفتم عليه

الجندي : ظل يعدو نحونا مستقتلا في عنفوانه  
يطلق النار علينا ويعود  
هادراً مثل الرعود  
وتكاثرنا عليه ، فأصابته رصاصة  
فطواها صابراً ما بين جنبيه وكبر وأصابته  
طلقة طائشة ساق حصانه فتلوى وتعثر . .

وترا كضنا اليه وهو في قبضتنا الآن جريح ..

الجنرال

: ( لحظة صمت )

ربما اثتوني به فوراً ، فقد اعرفه ، والويل  
لك ولي الويل من عقابي في غد لو اكتشفت  
كذبك ( يذهب الجندي )

ولي الويل إذا صح الخبر  
وله الويل إذا كان عمر

يعود الجنرال من حيث أتى ويتبعه  
الضابط بينما يقف الجنود شاهري اسلحتهم ..  
يسود الهدوء والظلام رويداً ..

## المشهد الثاني من الفصل الاخير

( نفس المشهد السابق .. المعسكر والمعتقلون والضوء  
في المواجهة .. الجنود شاهروا الاسلحة .. الى اليسار منصة  
القضاء وامامها عدد من المقاعد .. الى اليمين مشنقة خالية ..  
يتوافد بعض المتفرجين .. يتخذون اماكنهم .. حركة غير  
عادية ، يعقبها دخول عمر المختار في تؤدة ومهابة .. الحراس  
يحيطون به ، والقيود في قدميه ورجليه .. يخيم صمت عميق على  
المعسكر .. عمر يتجه بناظره ناحية المعتقلين لحظة .. لا يتكلم ..  
يهمس بعضهم ، ثم يرتفع الهمس شيئاً فشيئاً ) ..

صوت رجل : ها هوذا جاء

الرجل المجنون: ألم اقل لكم سوف يحىء ؟

صوت رجل : شامخ الجبهة مثل الجبل الاخضر

صوت آخر : إنه عمر

نحن خذلناه .. تركناه وحيداً وشريداً

نحن أسلمناه راضين إلى أعدائنا

لو اننا اخترناه لانتصرنا وانتصر

صوت امرأة : يا عمر المختار .. ناديناك يا سيدي عمر

صوت اخرى : هل انت ناظم علينا ؟

( يستدير عمر بوجهه قليلا ثم يعود )

نحن جميعاً نادمون

صوت رجل : انه ينظر في صمت الينا

صوت رجل : ان في نظره حزن سنين

صوت الرجل الخلق : ( ساخراً ) انت قد اوقعتنا في هذه الورطة ..

فاهداً واطمئن

صوت رجل : الحجر الساقط لن يחדش وجه الشمس

يا فار الحظيرة النتن ..

آخر : حتى وراء السجن تقبض الثمن

صوت المجنون: يا سيدي عمر .. يا سيدي عمر  
( تحترق الجموع .. تقف عبر الاسلاك )  
ما رأيك الآن .. لقد صرت بلا رأس .. فما  
رأيك ؟

صوت رجل : يا سيدة ارجعي

صوت الجندي : ارجعي

صوت رجل : ( لعمر ) لا تستمع لها

صوت امرأة : ارجعي

صوت المجنون: ( متشبثة بالاسلاك )  
أوقعتنا في هذه الورطة

صوت امرأة : يا سيدي عمر

صوت اخرى : لا تكترث للغوها

صوت رجل : مجنونة كأنها في فرح ( يشير للخائن )  
وخائن لا يستحي

صوت رجل : احملها بعيداً ( يحملها بعضهم )

آخر : اذهبوا بها

صوت المجنون: يدي.. يدي

( يبتعد صوتها حتى يتلاشى .. وبصوت هاديء عميق يتكلم عمر .. )

عمر المختار : لعلها تؤلمها..

لم تجرح الاخت شعور احد  
ليغفر الله لها

صوت رجل : معذرة يا سيدي ..

أسأل لو اجبت

سوف تفتيق الصحراء من سبات الازمنة  
وسوف تكسو عريها الحرائق الملونة  
وتستريح من عذابها الايادي الخشنة  
كذا يقولون لنا

عمر المختار : قولوا لهم

ولن تمضوا بمجد شعبنا  
وكبرياء ارضنا

عودوا إلى بلادكم ، فالرياح تلهو بدخان المدخنة  
والحر ليس يشتري . ولا يبيع وطنه .

**صوت رجل :** يا سيدي إذا سمحت  
اسأل لو أجبت  
وانت في أغلالهم ، هل انهزمت ؟  
معذرة يا سيدي

**عمر المختار :** لا تعتذر  
انتصرت إرادة القضاء والقدر  
وما يزال الحق والطغيان في الميزان  
وفي غد ستنتصر  
إرادة الانسان

**صوت رجل :** هل عذبوك  
**عمر المختار :** تسألونني عن العذاب  
ليس وراء غربة الاوطان من عذاب

**صوت رجل :** كنت لنا الثورة .. كنت صوتها ويدها  
يا سيدي .. لو قتلوك

فما الذي يبقى لنا ؟

عمر المختار : تبقى اليد الكبرى التي امتدت بها إلى يدي  
يد الجموع الباقية  
تشعلها تحت الرماد ثانية

صوت رجل : يا سيدي انصحننا

عمر المختار : اضيئوا .. واحذروا ان تخذوا  
واتخذوا .. اتحدوا

( يرتفع صوت احد الرجال المعتقلين  
بالاذان .. تستولي على المعسكر حالة وجدانية ..  
عمر يرفع كفيه ووجهه إلى السماء .. )

يتعم بصلوات غير مسموعة .. بعضهم يصلي ..  
يدخل ثلاثة رجال ، اولهم في ملابس جلاب  
والثاني مساعده ، يتجهان نحو المشنقة ، على  
الفور ويتفقدانها ، ويجرون بعض الاختبارات  
للتأكد من صلاحيتها للعمل .. بينما ترسم  
ابتسامة بليدة ، على شفتي الرجل الثالث ،  
الذي ينهمك في تنظيف مقاعد القضاء ببطء .. )

الرجل الثالث (لنفسه) : بعناية .. بعناية

فمقاعد الفاشيست مثل وجوههم ونعالهم لا  
بد من تنظيفها بعناية ..

الجلاد (لمساعدته) : بعناية .. يا أحمق اجذبه اليك ..

ارده .. أرخ الحبل .. وارجع خطوة واعقده  
هذا الحبل أثمن منك ..

مساعد الجلاد : كم يسوى ؟

الجلاد : كثير

مساعد الجلاد : قدر أجرك ؟

الجلاد (ساخراً) : قدر أجري فوق أجرك ( ضاحكاً )

أجرنا عن ألف رأس مثل رأس الشيخ ..

( ينظران تجاه عمر وهو ماضٍ في صلاته )

مساعد الجلاد : رأس الشيخ .. لم يجيء القضاة العادلون ؟

الرجل الثالث لنفسه : تأخروا .. ولقد فرغت من النظافة ..

فلان جسدي ( يجلس على احد مقاعد القضاة )

الجلاد : ( لمساعدته وهو يجرب حبل المشنقة بوضعه

حول عنقه (

استرح

مساعد الجلاد : ( متمللاً ) عنقي ..

الجلاد : سمين مثل عنق الثور

مساعد الجلاد : اوشك أختنق

الجلاد : ( وهو بعد ان انتهى من احكامه .. يتأمله

معجباً )

بالضبط ..

مساعد الجلاد : ( يتأوه ) اني اختنق

الرجل الثالث : ( لنفسه )

غيري يل الانتظار ..

اما انا

مساعد الجلاد : ( للجلاد بعد ان اخرج رأسه من حبل

المشنقة )

لتكاد تقتلني

الجلاد : ( في صخبه )

تموت الاسد في الغابات ، فاهناً في خلودك  
يا حمار

يستنهزون .. ويسخرون .

ونحن نرقبهم

وماذا نمتلك

الا التفرج في سكون

ونمتلك

ايماننا في قلب عاصفة الجنون

ما يعجزون عنه

ونمتلك الارادة والضحك

( يتبادلان الضحك .. يضحك ثالث ورابع

يدوي الضحك في المعسكر كله يهبط الرجل

الثالث من مقعد المنصة .. الجلاد ومساعداه

يحرقان في ذعر .. عمر يظل في صلاته ..

الجنود يتحركون دون اتجاه .. يهرع احد

الجنود معلناً وصول القضاة ..

يدخل غرازياني ووراءه عضوا المحكمة ..

يأخذون مقاعدهم .. لحظات صمت ..  
يقف غرازياني ثم ينحني على المنصة في وضع  
هزلي .. يضرب المنصة بكلتا يديه )

غرازياني : والان يا حضرات اعلن ( يلوح بورقة في  
يده )

أف ان الجو حار ..

عضو اليمين : الجو حار

عضو اليسار : الجو حار

غرازياني : والان أعلن أن محكمتي الموقرة ..  
أرتأت

ان المحاكمة انتهت.

ظلام

## المشهد الثالث من الفصل الأخير

( تأوهات كورالية حزينة آتية من بعيد .. تقترب تدريجياً خلال الظلام السائد .. حتى تبلغ قممتها الانفعالية .. ثم تنخفض ببطء .. المرثيات الآن أكثر وضوحاً .. المسرح صحراء خالية ممتدة إلى الداخل .. إلى اليسار من النصف الخارجي ، تبدو المشنقة ، تتأرجح في طرفها جثة رجل .. يدخل من الجهة اليمنى شخصان ملثمان في حالة اضطراب .. يقفان لحظة في خشوع أمام الجثة المعلقة ) ..

الرجل الاول : كان كما كان النبيون

الرجل الثاني : سلاماً يا عمر

الرجل الاول : سلاماً يا عمر

( تَخْنَقُهَا الْعِبْرَات .. يَخْرُجَانِ مِنَ الْجَهَّةِ  
الْيَسْرَى .. شَبَحَ الْعَجُوزُ وَابْنَتُهَا قَادِمَتَانِ  
رَكْضًا مِنْ عَمَقِ الْمَسْرَحِ تَقْتَرِبَانِ ) . .

العجوز : هل اقتربنا

سلمى : جسد معلق في المشنقة

العجوز : قلبي عليه .. ودمي فداء  
كأنما أراه ( تقف في مواجهة الجثة )  
كأنما أصغي إلى وقع خطاه  
( تتحرك حتى تلامس القدمين المدلاتين )  
يا سيداً في الحالتين : الموت والحياة  
أكبر من كل معاني الموت والحياة  
انت . .

ومن فجيعتي فيك ، ومن نحيبي  
هل انت هذا الجسد البارد .. يا حبيبي  
( تعود الاصوات الكورالية .. تتوقف العجوز  
متنكرة )

يبكين من ؟ قد كان يكره البكاء  
( توجه الحديث إلى الكورال الغائب )  
اخجلن من إرادته  
كانت تضيء الظلمات .. من مهابته  
من رايته  
مصبوغة بالدم واللييب ، من جواده الذي عثر ..  
من سيفه الذي انتصر  
ثم انكسر .. ( تتوقف لحظة ) ..  
يا اخواتي الحزن تار  
والدموع لا تطفىء النيران  
فليبق هذا الجسد المرفوع  
فوق تراب القبر والا كفان  
( تزداد الاصوات الكورالية عنفاً . . تدور  
العجوز مع حركة دوران الاصوات )  
كما تمثلتك امس ، فارس على جواد  
مسرج بالمجد والبهاء  
يقتطع الصحراء  
طولا وعرضا ، مشرقا ومغربا

كأنما انت على صهوته

قبة نور تلمس السماء

: يا ام سلمى ابتسمي

الكورال

: كمثله صوته

العجوز

: لا تيأسي

الكورال

: وحدي انا

العجوز

: الطريق ليست خالية

الكورال

: ومهرجانات الشعوب آتية ويحيى بعد موته .

العجوز

: يا ام سلمى ابتسمي

صوت

: سوف يعود ثانية

صوت

: يعود ؟

العجوز

: كما تعود الريح من رحلتها الكبرى إلى مدارها

صوت

: كما تعود الأرض من أودية القحط إلى أخضرارها

صوت

: كما تعود الشمس من جديد

الكورال

يعود .. يعود .. يعود

العجوز

: أضحككني من انت ؟  
دعني أرى وجهك الغريب

الكورال

: لن تريني

العجوز

: وكذاك الميت لا يعود

الكورال

: يا ام سلمى

العجوز

: ( تتوجه إلى الجسد المعلق )

أترام كيف يسخرون بي ؟  
يا بطلي الشهيد يا ابني وحببي وأبي

الكورال

: سوف يعود

العجوز

: يا حبيبي وأبي

الكورال

: سوف يعود

العجوز

: انها الغربة يا ابني وأبي

الكورال

: سوف يعود

العجوز

: آه يا ابني وحببي وأبي

( تجهش باكية . تتحول الاصوات الكورالية  
الى عاصفة .. لحظات .. ظلام ) .



## المشهد الاخير

( في مواجهة الصالة ، شرفة واسعة ، عربية الطراز ، مرتفعة نسبيا عن الأرض ، ملحقة بالطابق الأرضي من بيت أم سلمى ، بشارع عمر المختار .. باب الشرفة مفتوح على مصراعيه ، بحيث يمكن للجمهور مشاهدة ما يجري وراءها .. على عین الباب ، نافذة صغيرة مغلقة ، تغطيها أوراق نتيجة حائط مكبره ، تحمل هذا التاريخ : ١٩٣٣ - ( السنة التي اعدم فيها البطل عمر المختار ) ..

الضوء يتركز فوق الشرفة .. بينا الشارع يكسوه ظلام وسكون .. نلمح اشباحا جامدة ، لعدد من المواطنين ، واقفين في زوايا واركان الشارع .. تمر لحظات ، ثم ترى سلمى قادمة من الداخل .. تستند على سور الشرفة .. تنتقل ببصرها ، في

كأية نجاء الاشباح الجامدة .. تتجه الى النتيجة ، وتأخذ في  
انتزاع اوراقها ببطء .. الورقة تلو الورقة .. حتى تصل الى الورقة  
الاخيرة ، التي تحمل هذا التاريخ ، ١٩٦٩ .. تتوقف وقد  
استبدلت بملاحها القاسية الحزينة ، ملامح اطمئنان وفرح ..  
ترفع يديها ووجهها إلى السماء في ابتهاج .. تسمع اصوات موكب  
قادم .. تخرج ام سلمى إلى الشرفة .. ملتفة بثوب في شكل  
العلم الليبي .. يضيء الشارع فجأة .. سلمى تجري لترتمي في  
أحضانها .. تبدو في مقدمة الموكب ، المؤلف من ثلثة ، من  
الجنود الليبيين ، يتقدمهم حامل العلم .. تتحرك الاشباح الواقفة ..  
يقبلون على بعضهم بعضاً .. ينضم آخرون إلى الموكب الصاخب ..  
تحضر ام سلمى رأسها ثقة ومحبة ثم تدخل .. يتحرك الموكب في  
صخب .. يتلکأ اثنان .. قبل أن تغيب مؤخرة الموكب ..  
يأتي صوت أم سلمى من بعيد .. الوقت ضحى .. )

صوت ام سلمى: احتضنوا أحلامكم وامضوا  
استعدوا دائماً للتضحيات  
فالفرح الكبير آت

الرجل الاول : زهير .. ذاك صوبها

زهير : بورك من صوت

الرجل الاول : لقد كانت

زهير : تقول انها كانت

وتنسى انها في دمنا الشوق

وفي عيوننا الارادة

ارادة الأجيال والزمن

الرجل الاول : زهير .. غاب الراكب فلنسرع اذن

( يختفيان )

ستار النهاية

**ايتسمي حتى تمر الخيل**

## الاهداء

الى تلك التي تعبق في وجودي كله :  
وتغزل تغزل رؤيا الشاعر وموسيقى  
الشعر .

م. ف.

ابتسمي حتى

تمر الخيل

هذا مسارُ نجمهم ..

أيتها الحبيبة ، الغربيةُ

الحبيبة الكثيبةُ

الحبيبة ، الجمالُ والدمامه

هذا مسار نجمهم ..

يركض في الزاوية الكبرى

قليلاً ..

ثم ينهار رماداً ..  
راسماً في جبهة الشرق وعينه  
علامه

شهادة الميلاد ، والموت  
وشارة القيامة

فابتسمي  
حين يجيء فجر الثورة في أردية  
القتلى

وتمشي الهودج الأسود محمولاً  
على محفة الأصيل

ابتسمي  
حتى تمرّ الخيل  
والبيارق المذهبة

فالحيل ليست خيلنا نحن ..  
ولا الصهيل ..

واختبئي في مطر الضفائر  
المضطربة

وكبرياء حقدك الجميل  
فالبطل القتل

ليس هو القتل  
وأنت يا حبيبي المعذبة  
متعبة

أعرف يا كم أنت جيد متعبه  
الدم والطاعون في الشدين  
والمخلب ، والمنقار حول الرقبه  
والليل ، والأغربة العرجاء

## والوحشة ، والرحيل

★ ★ ★

هذا مسار نجمهم ..  
هنيهة ، ثم يغيب النجم  
لن يمكث إلا ريثما ينهمر الغيم ..  
وتصحو زهرة التاريخ ..  
لن يجتاز بحر الموت إلا  
قدما حبيبي ..

العاريتان

القدمان ، الموجتان ..  
الشعلتان ، القلعتان ..  
لن تغني شفة عاشقة  
في شفة عاشقة

إلا إذا تبسّمت حبيبي  
والنجم لن يمضي بعيداً  
- آه .. يا عيني على الجرح  
الذي يصبح متراًساً ..  
على قافلة الموت التي  
تبني جدار الموت ..  
يا عيني عليها ..  
وهي بين الصخر والبحر ..  
وآلاف المناكير ..  
وآلاف المخالب ..  
- وأنت يا من يتعالى أسمك  
بين الصخر والبحر ..  
هم الساعة ، آلاف المناكير

وآلاف المخالب  
لكي تصيري حبة القمح ..  
سيأتونك في أجنحة الريح ..  
وأصوات الغرائيق  
وأنفاس الحرائق  
لكي تصيري دُرَّةَ السَّبَى ..  
سيأتونك بالتيجان والبيارق  
وكلمات الله ، والبنادق  
لكي يروا مشنقة الثورة في  
عينيك  
لا .. ليس سوى مشنقة  
الثورة في عينيك  
لا .. ليس سوى ..

فابتسمي ..  
أيتها الحبيبة الغريبة ..  
الحبيبة الكثيـبه  
الحبيبة ، الجمالُ والدمامه



هذا مسار نجمهم ..  
يركض في الزاوية الكبرى ..  
قليلاً  
ثم ينهار رماداً  
نجمهم علامة ..  
شهادة الميلاد والموت ..  
وشارة القيامة !

فابتسمي ..  
أيتها الحبيبة الغريبة ..  
الحبيبة الكثيرة  
الحبيبة ، الجمالُ والدمامه

★ ★ ★

هذا مسار نجمهم ..  
يركض في الزاوية الكبرى ..  
قليلاً

ثم ينهار رماداً  
نجمهم علامة ..  
شهادة الميلاد والموت ..  
وشارة القيامة !

# البطل يعبر إلى المعشوقة

— ١ —

كان محفوراً على مرآة عينيه ..  
اللتين امتدتتا ..

جسراً من الفولاذ والنار  
أمامه

أنّها الساعة ..

لا أملك الا وردة الروح ..

فيا سيدتي الأرض ..

اقبليني حارساً في ظلّ عينيك ..

ومستٌ شفتاه  
فم معشوقته الأرض ..  
وأحني فوقها رأس إله  
وأطلت من زوايا فمه القاسي  
أبتسامه

— ٢ —

زمنٌ مرٌّ علينا ..  
ساعةٌ من زمن ، مرّت  
على غربتنا .. أم سنوات !  
طالما زُرْتُك في الحلم ..  
خلعت الحزن والخوف الجحيمي ..  
وأسوار الهزيمة  
وتفجرتُ لدى أرجوحة النهر

رصاصاً وقنابل

وتجسدت رعوداً وزلازل

وجيوشاً تعبر البوابة الكبرى ..

وتاريخاً من المأساة والصمت ..

يقاتل ..

ويقاتل ..

ويقاتل ..

كنت يا عطر الحضارات ..

ونيران القبائل

كلما أضحكني الباكون في المآتم ..

أبكتني الجريمة !

كنت - في حلمي - لا أرجع إلا ..

ونجوم الوطن المحتل في صدري ..

وأحجار السموات القديمه ..

— ٣ —

زمنٌ مرَّ ثقيلاً .. يا بلادي ..  
كنت أعرف ..

انه عصر الخيانات التي تنبت  
تحت الجلد والعظم ..

وأعرف ..

انه عصر النبوات الشهيده  
يولد الثائر في مستنقع القهر ..  
كما تولد في الغيم الأعاصير  
كما تولد في مستنقع الموت ..  
المخاضات الجديدة !

كنت أعرف ..  
وأنا أزحف تحت المطر الغربي ..  
تحت المطر الشرقي ..  
تحت الشرفات الصدئة  
وأنا أزحف فوق الدم ..  
أستبطئ إطلالة أجفانك ..  
أشتاق ..  
أغني ..  
للبناتين التي تزهر في ذاكرتي  
الآن ..  
أخوض الساحل الصخري ..  
أستنشق موج العبق الآتي

من الغيب ..

اسألي ما شئت ..

بعضي أمةٌ تنزف ماضيها ..

وبعضي يتغنى ..

— ٥ —

كنت أعرف ..

وأنا أصرخ في القافلة

النائحة

المنكفئة

انني أحمل أجيالاً من الأفراح

في حزني

وأني إن تساقطت ..

فلن أسقط إلا في ذراعيك ..

وفي مجدك أمتد ..  
وأفنى !

— ٦ —

كنت أعرف ..  
وأنا أحتضن الراية من  
منفى لمنفى  
أنهم إن قتلوني  
مرة واحدة ..  
أولد في عينيك ألفا

— ٧ —

إلبسي زيتتك الآن ..  
فقد جشت  
وها إني أقاتل  
وأغني ، وأقاتل  
وأغني ، وأقاتل

# أيقاعات قبل ما رثى النصر !

— ١ —

ممتدة زوارق الشمس ..  
هم الآن ، على مشارف الأفق  
يضيئون دجى سيناء والجولان ..  
يا رايات  
يا قامات  
يا جباه  
لن تنطفىء ثانية ..

توهَّجني .. توهَّجني ..  
حتى تضىء المدنُ الحرساء  
والأعشاب  
والصخور  
والمياه !

- ٢ -

أصرخ فيهم ، باكياً ، مضطرباً ..  
من فرحي

تأخذني الدهشة ..  
وارتعاشة اليقين  
ما أروع الآية ..  
يا من يركض التاريخ في غباركم ..  
يا غابة الرجال

أيها المقاتلون  
الله في آفاق هذه العيون  
المشمسة

الله في أجنحة الحرائق  
المقدسة

في عزة الصدور ، والسواعد القوية  
الله في كرامة الأرض ، وفي  
عدالة الثأر . وفي الحرية

— ٣ —

من قبل أن تشتعل الحياة  
في عظامكم ..  
سبية كانت صباياكم ..  
حزينة كانت وجوه الأمهات ..

وكانت العتمة والثلوج ،  
فوق الزهر والنبات ..  
والعقم في النواة  
مباحة كانت عذاراكم ..  
وأنتم تغسلون عارهن الآن ..  
تكسرون قيد الأرض ..  
لا .. لا تقفوا  
إلا على هيكل اسرائيل  
لا .. لا تقفوا  
إلا على مقبرة المحتل والدخيل  
تباركت ارادة الارادة المقاتله  
وكبرياء الأمة المقاتله  
والراية المقاتله

## والثورة المقاتله

— ٤ —

أتذكرون ؟

كان حزينان .. وكانت أعين الموتى ..

أتذكرون ؟

كان المرابون ، يعلقون الأوسمه

فوق صدورهم ..

وكان الهمجيون ..

وحفارو القبور

وانظمرت مصاحف العزة

تحت الدم والوحل ..

أتذكرون ؟

يوم هوى الفارس'

يوم احترق التاريخ بالنار  
وغاص البيرق الكبير .. !  
أتذكرون ؟

قهقهة المومس ، والقاتل ،  
والقواد ..

ونخيمة الجراد  
حينئذ تقاسموا الغنيمة  
وكانت الهزيمة  
جلجلة الناقوس في صبيحة المزارد !

— ٥ —

تذكروا ..  
ان الذين ذبحوا أطفال دير ياسين  
وأكلوا أكباد أمهاتهم ..

وسرقوا أرض صلاح الدين  
لو قدروا ، فسوف يرجعون  
ليذبحوا ثانية أطفال دير ياسين  
ويبقروا بطون أمهاتهم ويهدموا قبر صلاح الدين

— ٦ —

تذكروا .. وقاتلوا  
وانتصروا .. وقاتلوا  
وقاتلوا  
لا تقفوا إلا على هيكل إسرائيل

# قراءة في

## عيون يغسلها الدمع !

تصبحين التوقع والحلم ..  
حيث تغيم سماء التوقع والحلم ..  
حيث تغوص عصور الرؤى  
والغرابه  
وتصير المسافات والريح أقبية ..  
والوجوه التي تعرفين تغيب ..  
وتوغل فيها جذور الغياب ..

ويسكب ظلمته ألف باب وباب ..

تصبحين كتاب الفرح

تصبحين كتاب الكآبه

ودفوف القوافل ..

والهودج العربي المسافر

فوق رمال الصحارى ..

تصبحين البروق التي ترسم

الضحكات ..

البريثة ..

ملء العيون السهارى

تصبحين الأيادي التي

نقشت سقف لبنان بالشمس ،

والشعر والأبجدية

والاغنيات التي اختبأت في  
كهوف الجبل  
تصبحين كتاب الهوى والغزل  
لمُغَنَّ حزين ..  
يحنى من الغيب ..  
تثقله الذكريات ،  
وتركض في جانبيه  
رياح الأزل

★ ★ ★

تصبحين المدائن والجزر الساحلية  
ترضع أطفالها في ظلام الظهيرة  
تشمخ فوق العذاب  
وتبصق فوق الجريمة

تصبحين قرار الإياب  
ورفض الهزيمة !

★ ★ ★

أترين ؟  
أبصرت كيف يصير الزمان ..  
قطاراً بطيئاً ..  
مداراً بلا غاية ..  
والكبار .. الكبار صغاراً  
وزهور الحياة  
فوق الرؤوس الحليقة غاراً !

★ ★ ★

أترين ؟  
أبصرت ، كيف يبيعون

في السوق

آباءهم ..

وجماجم أبطالهم ..

كيف يلتصع الوحل ، حتى

تعلقه الامهات قلائد فوق الصدور

كيف تلفظ أحشاءها

كل تلك القبور !

\*\*\*

آه ..

أيتها النجمة الموسمية ..

أيتها الكلمة المريمية ..

ان حاكم تلك المدينة ..

والدركي الذي جعل الشمس

سجادة من دماء

وأقواس نصر على البحر ..

خانوا القضية !

★ ★ ★

آه .. يا طفلي المريميه !  
أي أرض ستحملهم في غدٍ

حين تلمس أجفان عينيك

وجه الذي تعرفين !

وتنت كفلك زنبقة

في جراح الضحية !

# الطفل والشمس

دائماً يتألق وجهك في حائط  
الصمت ..

تنشقُّ جوهرة الصمت عنك ..  
وتبدو الأميرة قادمة من عصور  
الكهانة والسحر ..

رائعة توقظ الردهات

وتفضح بهو المزايا

★ ★ ★

دائماً يفتح الشرق أبوابه الحجرية ..

أسمع وقع دفوف القيان ..  
وأقبية الزمن الرطب تهبط ..  
والدرج القمري يضيء ..  
وأذرعة الشوق ممدودة في الزوايا  
وتأتين خارجة ..  
يا عشيقة شعري  
تأتين خارجة ..  
في ثيابك جارية الملك القرطبي  
وفي شفئك اخضرار النقوش  
وتنهيدة الملكات السبايا  
وأغرس عيني فيك ..!  
أصير أنا الطفل والشمس ..  
تعويذة الطائر المترنح والقوس ..

يا أنت ..

كوني جميع النساء  
أكن انا كل الألى عشقوك ..  
أنا العشق والشعراء  
أنا كل من عشقوك

★ ★ ★

وتفجؤني شارة البرق والرعد ..  
تولد في جسدي مدن البرق والرعد ..  
كل اشتعال المساجين ..  
كل أرتجاف الضحايا  
وتأتين خارجة ..  
لست أملك إلا التوهج والحلم ..  
إلا حروفا وصوتا

وقلبا يغني ، ويسقط ميتا ..  
عرفتك ..

هل تغفرين ؟

فإني عرفتك

هذا الذي في في كلمة ..

وأحاول أن أترنم باسمك ..

لكنهم نبتوا في في ..

زاحموني إليك ..

وها آنذا يا مليكة أرجف ..

ها آنذا أقف الآن في آخر الصف ..

أرفع راحة حبي التي لن تريها ..

ألوح مضطربا ..

في يدي وردة هي قلبي ..

أغوص وحيداً .. وحيداً ..

أنا الأرض والسحب ..  
آه .. لقد سبقوني ..  
فأي الهدايا يمر بها شاعر  
عبر عينيك

أيقونة من خزائن فرعون ؟  
أم خاتم من كنوز سليمان ؟  
أم نجمة من سماء بلادي ؟  
أي الهدايا ؟

فقد سبقوني  
وتأتين خارجة ..  
كبرياء جمالك يصعقني ..  
وأكاد أصبح ..

أنكرتا مقلتك ، ردائي ؟  
أم لغتي ؟

ما الذي أدهش التدمرية ..

من لغتي وردائي ؟

وتأتين خارجة ..

بعضنا ينكر البعض

يا لكآبه

بعض كآبتنا أننا فرح البعض ..

لا .. لا غرابه

فلنتحد بالغرابه

ولنتحد بالبكاء

★ ★ ★

وتأتين قاسية الصمت

عبر جنوني

وتمضين قاسية الصمت

عبر جنوني !

# عذاب هذا العصر

— ١ —

تنسين طير البرق ، يتزف جرحه  
النبويّ في صخر المدائن

يا بتول

وزهرة النار التي يبت

جديلتها على المجرى

وأنسى مهرجان تداخل الكابوس

والرؤيا

فأعدو خلف قرص الشمس ..

مسكوناً بأقنعتي وأصواتي

وتعدو الشمس فوق عظامها ..  
والأرض فوق الأرض ..  
تعدو مركبات الموت والأسرى ..  
وأنسى يا بتول ..  
وأنت ، والكلمات عشب الروح  
في رثي ..  
أن سحابة الأيام ، لم تمطر  
سوى الشكوى  
وأن حقائق الأطفال فارغة  
من الأعياد والحلوى ..  
وأن خيانة خانت ..  
تلتخ بالفجيعة مجد من عاشوا  
وتجعل موت من ماتوا  
بلا جدوى !

— ٢ —

ويولد ألف جيل بعدنا ..  
ويجيء عشاق السنين الآتيات  
— الأرض أعشبت الذين مضوا  
وتعشبتكم ..

فطوبى للحياة  
على قساوة قلبها الحجري  
طوبى للحياة  
عذاب هذا العصر كان غناءنا  
كنا نغني للعذاب  
لأن صخرة حزننا  
كانت تسد طريق من صنعوا العذاب  
وتطحن الضحكات

في طاحونة الذكرى  
فلا تنسوا وغنوا  
وليكن قمر العذاب  
مدار أغنية المغني !

— ٣ —

أية الكلمات أنقى ! ؟  
يا بحار الفضة البيضاء  
هذي الليلة ، الديدان تنمو  
في عناقيد الكروم ..  
وفي ينابيع الحديقة تستحم ..  
وتثقب الأفواه باسم الشعب ..  
وهي تشيح مغضية ..  
بأوجهها المكعبة ، المثلثة  
المرايا ..

ثم تغفو تحت قوس النصر ..  
هذي الليلة ، القطط البغايا  
والطواويس العتيقه ..  
تسكن الشرفات  
والقرباء يرتحلون  
في مطر المنافي والمهاجر  
يا بتول ..  
وأنت والكلمات  
شوق الكون في عيني ..  
يا شوق المسافات البعيدة  
للمسافات البعيدة  
والمسافر للمسافر !

أية الكلمات ؟!  
ان حببتي تصغي  
وعاصفة تخبىء في صناديق الغيوم  
ثيابها ..

لتجىء مسرعة .. ؟  
— لماذا يبطىء الإيقاع ؟  
تعروه الرتابة ، والزمان يموت ..  
خنجر سارقي الأكفان والثورات  
مصلوب على عنقي ..  
أنا الطاعون في دمهم ..  
ولكني سأصرخ في جماجمهم ..  
— أعيذوا العزف !

ايقاع" أشد توتراً  
وأنا مل أغنى ..  
أعيدوا العزف ..  
تتحد العيون صبايةً وسنا ..  
وتمتد المدى  
وتفيض أنهار الجمال  
وتورق الألفاظ بالمعنى  
أعيدوا العزف  
ان حببتي تصغي ..  
وبي نهر سماوي  
من الأشواق لا يفنى !

# فرحي طفل إلهي!

— ١ —

البحيرات وراء الجبل الواقف  
بين الغيم والشمس ..  
البحيرات خلودي ورفاتي  
البحيرات صلاتي  
وعذاباتي  
سأتي  
فرحي طفل إلهي على نهر  
ذراعيك ..

وحزني قمر يسقط في  
طاحونة العتمة ..

حزني الأرض والذكرى ..  
المناشير التي تنغرس الليلة  
في لحم السموات ..  
ولحم الأمة المصلوبة الملقاة  
في السفح ..

سأتي ..  
أنا والحب ..

تسلقنا التضاريس طويلا  
وهبطنا درج الموت طويلا  
فلنغنّ الآن الحب  
سأتي !

مطرٌ أخضر عيناك  
أكان الأفق الممطر عيناك .  
أم الأفق ؟  
( اختبأنا فيها ..  
كان الأسى يُمطر في الخارج ..  
كان الصحو في دارتنا  
والوجد والشوق )  
زهور وسنابل  
ومرايا ومشاعل  
وأنا بينهما الغربية واللقيا  
أنا الحالم والرؤيا  
سأستغرق ..

أستغرق ..

ناء أنا إلا عنك

لا يحملني إلا الى ساحل أيامك

موج الزمن الآتي

وريح القدر الآتي

وطير الأفق الآتي

— ٣ —

سأستغرق

لا جلبة الحلبه

لا مذبحه اللاعب بالسيف وبالحرية

لا أردية المجد الترابي

ولا أقنعة الرهبه ..

لا رقصة أحفاد الممالك

على نارهم الرطبه  
لارجع نواقيس المرابين ..  
وأنفاس المخانيث المغنين  
ولكن صوتك الساطع  
مثل الشمس في شعري  
ومثل الله والانسان ..  
والشيطان  
في ذاتي !

أعرف  
أنك

كنت ستأتين

— ١ —

أن أحبك  
كانت عيون من الدم تسطح  
في الساحة النبويه  
أن تنبت الزهرة المستحيلة ثانيه  
في صحارى الحرائق والملح ..  
أن تولدي أنت  
لا .. ليس غيرك  
أن تولدي أنت في ..  
وأولد فيك ..

ارتعاشة راعٍ ، يقرب قربانه للإله  
سكون شهيد ، يسير الى الشمس ..  
متشعاً في دماه ..

وفي موج عينيك أنت  
اغسلت أنا ..  
واختبأت أنا

وانهمرت مع الثلج ، والطير ، والفقراء  
ركضت برايتهم ..

كانت الأرض خلفي ..  
وكان مدار الفصول ..

اشتعلت صفوفاً من الشمع ..

في الردهات .. وفي عتبات الدهول  
انتظرتك أنت ..

وعيناى شوك السياج ، فلم تأتى ..  
ثم انتظرتك أنت ..  
وقلبي عطر الحقول ، فلم تأتى ..  
ثم انتظرت ..  
ستأتين ..

أعرف أنك كنت ستأتين ..  
ثم أتيت .. تباركت ..  
وليتبارك بهاء الحقيقة فيك ..  
لكم كنت أرقب فجرك .. أحلم  
أن سوف ألقاك ..

واخجلتا كيف ألقاك ؟  
والثلج تحت جفون المدينة  
والطير عبر قطار العواصف

والغرباء ..

— ٢ —

أن أحبك ..

في زمن الموت والشوق ..

كانت ضفائثرهم تتلوى ، وتمتد

حول قبور المدينة

والقائد الأموي يقلب عينيه في الغيم ..

والشاعر الأموي يقلب ساقيه في القيد

والساحر الأموي يقلب كفيه في الرمل

ممطرة يا سموات ..

والأرض غارقة في المجاعة ..

دانية يا مواسم ..

والخيل توحدل في جثث الخيل

— ٣ —

كان طفل النهار يموت  
وطفل الظلام يخط على صدر  
من أرضعته سطور الرضاعة  
كان وجه الجمال يغيب  
وفي حائط الأفق المتحدر  
يسطع وجه البشاعة

— ٤ —

أن أحبك ..  
موغلة في جبال الظهيرة أنت  
وفي شجر الليل ..  
قلبي عليك ، الظهيرة والليل ..  
أنت أعتناق الظهيرة والليل

أن أُحبك ..  
يكبر مجدك أنت ..  
ويكبر فوق زمان الفجيرة حبي !  
أن أُحبك وحدك ..  
ألمح أشباحهم في رماد القناديل  
يا من هي الفرح المتوهج  
فوق رماد القناديل  
والغابة الشفقية قلبي !

# إيقاعات على طبل شرقي!

( إلى الشاعر أمين نخله )

شاهداً تومىء مهموماً ، إلى أقنعة العصر ..  
وتستغرق في موج الوجوه الغائبات  
تلثم الأرض ، التي تنزف أبطالا  
وتستصرخك الشمس ..  
التي تركض عبر الظلمات ..  
فتُغني عاشقاً وحدك ..  
مغسولاً بأمطار الدجى وحدك ..  
منحصرّاً باشواق الحياة ..

عربيّ الدم والراية ..  
كفّاك على الجرح ..  
وعيناك دموع وصلاة !

★ ★ ★

شاهداً ترنو إلى الماساة ..  
أنت الشاهد المنصوب  
في ليل الخيانات  
وإعصار الهزيمة  
جسدت أغنية الصمت ،  
التي غنيتها  
ساعة تتويج الجريمة  
ان جرح الوطن المحتل في القلب ..  
وأن الكلمات ..

غرقت في الدم ..  
ثم اختنقت تحت ركام الذكريات  
ونمت أعشاب من خانوا  
وصارت شجرا ..  
يمتد عبر الطرقات  
أيها الشيخ المغني ..  
وأنا في ظل تاريخك أختال  
وفي ضوء معانيك أغني ..  
الغريبان هنا نحن ..  
أنا القادم في عاصفة الرعد ..  
وأنت القمر النائم  
في حضن سحابه  
أترى كم باعدت ما بيننا الأرض

فنحن اثنان في الأرض

سؤال وإجابه

أترى يا شيخ لبنان المغني ..

وقفتي بين يديك

غارقاً في مقلتي لبنان ..

ذى الوجه السماوي

وإطباقه أجفان المحبين عليك

★ ★ ★

لتكن فرحة جيل

سكنت أيامه شمس الكآبه

لتكن إيماءة العشق ..

وإيقاع الصبا به

لتكن أنت ، هو الدهشة فينا

والغرابه  
أيها الناظر من نافذة الغيم  
الى الأرض  
لقد أصبحت الأرض التي تعرف  
غابه

والحييات اللواتي ..  
أسكرتهن عطايك  
فأغضين لديك  
وتعلّمن الهوى من شفّتك  
وتألقن وجوها كالمرايا  
وتبادلن أغانيك عطوراً وهدايا  
لم يزل شعرك فيهن  
وما زلن صبايا

يتعشقن لياالك  
ولكن بلاداً ..  
يرضع المحتل في أئدائها  
كل أهليها عبيد وسبايا

# صلوا ... على الجلاء والضحية !

الزمن المسكون بالجنون والثورة ..  
يغدو طوطماً مقدساً  
تحت رماد الزمن القديم  
وفي عروش العتات  
تهجع الزلازل  
حاضنة صغارها  
والقمر التحوُّلات

القمر الشاكل  
يطل فوق رقدة الموتى الالهيين  
يا من لا أسميك ..  
أُسمي أوجها مجهولة  
تسطع في عذابها العظيم  
وأوجها مقهورة ..  
تنبت في حدائق الموت  
أُسمي نجمة تائهة  
وقلعة مهجورة ..  
وشبها ملثما  
ورقما ..  
يدخل بوابات مجد الصمت ..  
لا يرجع في المجد ..

ولا يرجع في الصمت ..

أسمى البطل الغارق

في مركبة اللهب

البطل العاشق في

عاصفة الدماء

البطل الشاهق

عبر صحراء الثلج ..

والراية فوق الجفن ..

والخطوة بين العجز والارادة

ولا أسمىك ..

اسمي غضب الثورة

ليس طرب القياده

ولا أسمىك

الجنازات تسمىك

المجاعات تُسميك  
المخاضات تُسميك  
وتبقى رقدة الموتى الالهيين  
من بعدك ..  
تبقى شارة الطين ..  
وأعراس الضحايا  
آه .. يا متزلق التاريخ ..  
يا بهو المرايا  
اشتعلت حرب النياشين ..  
وأبطال النهايات ..  
وأرحام البغايا  
اشتعلت سوق الفضائح  
اشتعلت نار المراثي والمدائح !  
\*\*\*

تحت ظلال سحب الشتاء  
جاء الفيء  
عبر احتراق شجر الدماء  
غاب الفيء  
وصار كل شيء  
عذاب كل شيء !

★ ★ ★

وقالت الضحية  
صلوا على الجلاد والضحية  
وقالت الحريه  
صلوا على الانسان والحريه  
وقالت القضيه

صلوا على الحائن والقضيه !

★ ★ ★

أيتها الأسماء

لو طالت لحي الأطفال والنساء

لن تطول أيامك من بعد ..

ولو أمطرت السماء

أقنعة ..

وحللاً بيضاء

فسوف تخضوضر روح الخلق

في الأشياء

وسوف لن تختلط الوجوه

والأسماء

# مائدة عاطفيه داخل زمن الحصار!

— ١ —

.. وإن رقصت سلحفاة البحار القديمة  
حولي ..

وداست حوافرها خبز مائدتي ..  
ونما شجر الشوك فوق عيوني ..  
وإن سكنوا نجمة في رحيلي  
وإن رحلوا قلعة في سكوني  
وإن قتلوني ..

فمن أجل حبك أنت ..  
وإن عذبوني ..  
وإن ألصقوا ظل أيامهم  
في جيني !

— ٢ —

أتخشين !  
قلت ، وصوتك ينقشني  
ويرضعني من وراء الحدود  
وقلبك يحلم ..  
مثل البحيرة ، مخضرة الظل ..  
تحلم ..  
ثم صَحَّتْ ..  
فإذا الريح والرعد ..

— قد يقتلونك  
هم أبداً يرهبون الحقيقة والشعر ..  
لو قتلوك  
سأضفر شعري مشنقة  
وأزين أكلیل عرسي  
الى ملك الموت ..  
هل أنت سيد عرسي ؟  
أم ملك الموت ..  
.. وانهارت الطفلة المريمية باكية ..  
وتجسدت الروح روحين  
يا نعمة الحب  
صوت أنا ..  
ودم عاشق لك ..

هل تسمعين ندائي ؟!  
.. وأشعلت عيني ، ساريتين  
من الشوق

تخترقان سموات كل المدائن  
والطرقات البعيدة

.. لن ينزعوا شارة الحب

إلا ملطخة بدمائي ..

ولن يقتلوني ..

إذا قتلوني ..

وها آنذا عبر كل مدائنهم ..

ومحيطاتهم ..

وذراعاي نحوك ، تنهمران

حينئذٍ وشكوى ..

وفوق نوافذ بيروت علقت  
قلبي رداءً يبلله الدمع ..  
— ٣ —

يا نعمة الحب ..  
في زمن السفن الحجرية ..  
والسحب الحجرية ..  
محدث أن تصبح الأرض أرضين ..  
أرض الترحل فيك  
وأرض الرحيل إليك ..  
وفي زمن الراية الحجرية ..  
والنجمة الحجرية ..  
يحدث ان تلد الكلمات  
المشائق ..

والضحكات

الحرائق ..

ويحدث أن تصبح الذكريات  
أصابع كفٍ ، تضيء قليلاً  
وتغرق في الدّم والظلمات

— ٤ —

ويحدث أن يلتقي اثنان ..

وجهي ووجهك

في وهج البندقية

وأن يصبح اثنان

حي وحبك

بعض شهود القضية ؟

# معيتقه والله .. وقاتلوها !..

[ اسمها معيتقه .. مجرد راعية  
صغيرة ، لا علاقة لها ، بكل ما يحدث  
هناك . هكذا كانت ..

وذات يوم قبل عام ١٩٦٩ ،  
خرجت بأغنامها ، على مقربة من  
القاعدة الامريكية ، غير أنها لم تعد  
قط . فقد مزقت جسدها الصغير ،  
قنابل قوات الاحتلال التي كانت  
تقوم بإحدى مناوراتها الحربية ..

معيتقه لم تكن لها  
قضية ..

انها هي القضية ! ]

— ١ —

معيتقه

أنت هي التي اشتعلت  
ضفائر شعرها في الحلم ..  
تحت صواعق الخيل الغربية ..  
يا معيتقه !  
أكانت نفس أسوار الخرائب ؟  
والمناكير الطويلة ..  
والطواحين البدائية ؟  
وكان النهر ، نهر الحزن ..

تغتسل القوافل فيه ..  
ثم تدور أقماراً محطمة ..  
وأشجاراً نحاسية ..  
وكان السهل أخضر يا معيتقه  
وكنت بريئة العينين والشفيتين ..  
.. شوق النهر في عيني معيتقه  
.. وعشب السهل في شفتي معيتقه ..  
- ستغدو نخلة ذهبية

في موسم الأمطار  
وترقص بين أجفان العذارى  
زهرة من نار

وسوف تغار  
كل جميلة الساقين

من ساقى معيتقه !

— ٢ —

وكان السهل أخضر  
والغيوم الحضر ، تحلم أن طفل الفجر  
يرقد في معاطفها الأنيقة  
والطيور الشاحصات من العرائش  
تشرئب ، وتنقر الأضواء  
ما أبهى معيتقه  
مرصعة بضحكها الطفولية  
وما أحلى معيتقه  
تعلق شالها القمحي  
فوق نوافذ الأشجار  
ثم تطير في آفاق رحلتها الربيعيه

وجاء نهار  
وجاءوا ينصبون خيامهم  
في السهل  
فارتعشت معيته  
قليلاً . ثم أغضت  
ثم لم تغضب ..  
فإن الأرض أرض الله  
وقالت للشويعات التي أبدت  
تعجبها ..  
هنالك خلف تلك التلة  
الغربية الجرداء  
مرعى "مُعشِب" آخر

— لماذا يا معيقيقه

يجيء القادمون ، وينصبون خيامهم ..  
في سهلنا ، ونهدّ خيمتنا ..  
ونرحل

كلما جاءوا ..

— لأن العشب عشب الله

— ونوغل في المجاعات الجديدة ..  
كلما ارتفعت مشاعلهم ..

لماذا يا معيقيقه ؟

— لأن الفعل فعل الله

— وإن عادوا إلينا مرة أخرى ..  
أنرحل يا معيقيقه ؟

— سترتحل النجوم وراءنا

وتظل تمطرنا سماء الله

— ٤ —

وكان السهل أخضر

والسماء هي السماء

وكنت فاتحة اليدين

— تتجاوزني ما شئت ..

لن تتجاوزني فرح السنابل

واحلمي بالشمس ..

راقدة على سرر الرمال البيض ..

والإعصار فاجعة تقهقه ..

فوق أطلال المدائن والسواحل

وكان نهار

والأحجار

وأعشاب البحار ، ومركبات  
الرعد والأمطار

وغاصت شعلة من نار  
في رثي معييقه

— ٥ —

لماذا يا معييقه

حلمت بأن قمحك بعثرته الريح ..  
ثم ركضت خلف القمح باكية ..

ونخلف الريح

ثم سَقَطَتْ ..

فاجتاحتك جلجلة الطواحين

لماذا يا معييقه !  
حلمت بأن أرجل خيلهم ،  
خطفتك ..

واغتصبتك في الطين !  
لماذا يا معييقه !  
حلمت بأن قبعة الغراب  
تمددت ، وغدت سموات  
وآلهة

تدوس على المساكين !

— ٦ —

معييقه  
لقد زحفت قنابلهم ..  
ودباباتهم ، وجيوشهم

يوماً عليك ..

وكنت فاتحة اليدين ..

وحيثما دفنوك تحت ركامهم

وجدوك نائمة ..

وثمة وردة حمراء

نابعة من الشفتين !

# أحلف باسمك أنت

- ١ -

.. وتنمو على جبل الذكريات ، خطى العاشقين  
وينمو الحنين  
وينتزع الليل ذو القبعات العريضة  
أقنعتي ..  
فإذا أنت في جسدي تولدين  
وفي جسد الليل ..  
أيتها الغابة المستحمة بالعبق الآلهي ..  
المغطاة بالصيف والأمسيات ..  
التي نسيت عُرْيَها تحت مروحة  
الشمس ..

عشب الفصول أنا ..  
أبدأ أتمدّد في العشب والماء ..  
أغرق في شهقة الحلم ..  
أوغل في وجع النهر ..  
أركض في صلوات النواقيس ..  
أرحل ما زلت منذ افترقنا إليك  
وأرحل في الحب والشعر ..  
كيف ملوك العصافير ، فوق  
العروش البعيدة من بعدنا ؟  
وارتجاف المشاعل في الغرف  
الجبليّة ..  
والأوجه القدسية خلف  
زجاج المزارات ..  
والنبع من بعدنا ..

والعرائش والسهل ..  
أحلف بالحب ، أنك  
وحدك كنت ..

وما زلتِ وحدك  
كانت دموعي صلاة السجين  
إليك ..  
وكان انطباق ذهولي عليك ..

— ٢ —

وحين أتوا ..  
كنتِ ما بين أصواتهم وبنادقهم  
تقفين ..

محدقة في فراغ المساحات  
ثم تغيم عيون المغني  
فترتجفين ..

ركانت جميع المرايا محطمة ..

غير أنني رنوتُ اليك ..

— أعفري للاله الحجر

انه مدَّ راحته باكيا ..

وأنظر .

اغفري للاله السجين .

أنه احتضن القيد ..

ثم مضى في سكون !

— ٣ —

وحين مضوا بي ..

وأحلف ، بالحب ، انك كنت معي ..

قالت الأرض ، والنار ، والريح ، لي

— ستغادرنا .. وبكت

قلت إنني أغادرها وحدها ..

وبكيت

وأبصرت وجهك مرتجفاً ..

يتألق في شجر الدمع ..

كانت هناك يدٌ .. نجمةٌ ..

وجهٌ طفلٍ ..

شراعٌ سفينٌ تغيب بعيداً ..

وغبت بعيداً ..

وراء ايضاض الشراع .. إلى أين ؟

كانت هناك الأيادي الغربية

والبسات الغربية

والكلمات الغربية ..

والطير يهبط فوق النواقيس ..

والساحة الرّهبة ..

انطفأت بالكآبة

واشتعلت<sup>٥</sup> بالحنين  
وقلت<sup>٦</sup> : أعود ..  
ولكنهم أخذوني بعيداً ..  
- أقول لكم ، لو عرفتم ؟  
ولكنكم في غد تعرفون ؟  
غداً تعرفون ؟  
وأحلف بالحب ..  
أحلف باسمك أنت ..  
وأوقد في العتبات الرخامية  
الصمت ..  
مليون شمعة<sup>٧</sup> !  
وفي الردهات المهيبة  
مليون شمعة<sup>٨</sup>

وفي الحجرات الغريقة في النور  
مليون شمعه

لقد سَمَّروا شفتي في دفاترهم  
فتسمَّرت صمتاً

وظل اسمك النجم ..

يسطع فوق مداري الحزين  
وفوق ظلام الدفاتر

وقد صالحووا فرحتي ..

فتجهَّمت حزناً

وما فتئت فرحة الحب ..

أقوى المشاعر

وأحلف بالحب ..

أحلف باسمك أنت

# الانتظار !

غارقاً في اخضرارك ..  
مُرتحلاً في سهيل خيول الزمان  
وموج بحار الضجر ..  
خنجراً كان صمتك .. أم نجمة ..  
أم حجر ..

أيها الصامتُ المنتظر  
لست وحدك من تنتظر !

★ ★ ★

حيث يبرقُ في عتمة الدرب  
وجهٌ قديم  
ويتلو شهادته الأبدية في  
دورة النار وجهٌ جديد  
هنالك من ينتظر

★ ★ ★

حيث يهترىء القيد في قدمين  
تغوصان في جسد العاصفه  
وينسدل الظلُّ في مقلتين  
تضيئان في غسق العاصِفَه  
هنالك من ينتظر

★ ★ ★

حيث تغسل جمجمةٌ مجدها بالدماء

وتغسل جمجمة "حزنها بالبكاء  
هنالك من ينتظر

★ ★ ★

حيث تعدو المجاعة ، حاملة  
ببرق النصر ، عارية  
في الشوارع  
وتشيب الزهور ..

وتغفو على صور الذكريات  
الأصابع

ويغني الأسى في المضاجع  
هنالك من ينتظر

★ ★ ★

ثورة كان صمتك  
أم لعنة ، أم قدر  
لست وحدك من تنتظر

★ ★ ★

قالت امرأة في المدينة :  
- أعرفه ..

كان بدء انهيار الفصول الحزينه  
.. ثم تدفق فينا شتاء الجراد  
ثم غامت ..

وقالت رصيفتها ، وهي  
تسحب خصلتها القمرية فوق  
جبال الرماد  
- لم يعدْ منه إلا شبحْ

محصد المستحيلا  
والأسى كالفرح  
لا يدوم طويلا

★ ★ ★

وأضاء الصهيل ، وجوه الخيول  
التي سكنت في حظائرها ..  
فأضاءت قليلاً ..

★ ★ ★

كيف جاء ؟  
وما للمدينة مطرقة ؟  
كيف أطرق كل رجال المدينة ؟  
كل نساء المدينة ؟  
كل الذين يقولون للقهر .. لا

ولصوت الهزيمة .. لا  
ولريح الحياة .. لا  
والذين يبحثون ..  
في وجع الأرض جيلاً فجيلاً !

# دمشق ... وعاشق الأميرة الجبلية

.. ودمشق خيمة عاشق متغرب مثلي  
تعيش الشمس تحت جفونه  
وتضيء في فمه  
وراية قاسيون ، وسيفه العربي يبرق في السماء  
كأنه قمر اللهب  
كأنه سيف السماء

★ ★ ★

دمشق يا حزني  
وأنت مدينة الفرح التي أغفو على أسوارها  
وأغوص في أحشائها أرضاً وأزمنة  
وتصلبني طوابير الطغاة على مداخلها  
وينبت في خرائب عصرهم وجهي وإيامي

★ ★ ★

دمشق وأنت .  
لم تكن السماء عباءة منقوشة بالعاج والياقوت  
كانت ثمة السحبُ القديمة  
والطلاسم في تعاريج المرافق .  
والرجال السود يحتضرون حول الكعبة السوداء  
والصور التي تنهار فوق قواعد الصلبان .  
ثم أضواء برقك في الصخور

ففجّرتْ ألوانها ، وامتدت الرؤيا على زمني  
وعينيّ المهاجرتين  
اني كلمةٌ وحدي  
وتلك حجارة التاريخ  
والطير المحنط في المعاطف  
والبغايا العاقرات ، وغابة الشعراء

★ ★ ★

هذي ليلة القمر الذي صلبوه  
( كانوا يعبدون ضيائه  
حتى إذا اصطف الرماة جميعهم  
وانهل نبع جراحه صلبوه )  
ساعتها استحال الموج أعمدة من الكبريت ...

— يا قمري يموت الضوء في شجر النهار  
ويصبح البستان مزدهراً  
وتزهر فيه ثانية ... واولد فيك ...

★ ★ ★

هذه ليلة الطفل المقدس  
( من سيذكره ويكي ) كل مرضعة سقته دماءها  
خلعت مخالبها الأنيقة فجأة  
ورمت بها في مقلتيه  
— أقول يا طفلي المقدس :  
فوق تاج الحب ، تاج الشعر  
اخلعه على دنياك مبتهلاً ...  
واحلم اني ارضيك .

واشتاقتك أيامي . . .  
وما زالت دمشق تمد خيمتها  
ووجه العاشق المأخوذ يسألها وتسأله . . .

\* \* \*

وعبر توهج الرؤيا  
وعبر تدفق النظرات  
قصر أميرة جبلية  
تختار تحت الشمس مقعدها  
وتسكب عطرها في روح عاشقها  
وتشعل شمعة في القلب ،  
ثم تعود حيث تنام في عينيه كل مساء .

# فهرس

صفحة

مقدمة

## أقوال شاهد واثبات

٦٣	اقوال شاهد اثبات
٦٩	الى .. عبد الخالق محجوب
٧٩	اغني واكتب مرتين
٨٥	رحلة في عيون بلادي
٩١	الارض لم تسقط
١٠١	الى .. غسان كنفاني
١٠٩	طرباي كتب اسمه ورحل
١١٩	حوار قديم .. عن الف ليلة ليلة
١٢٧	فليبق وجهك مشتعل بالجمال
١٣٥	الوصايا القديمة
١٤٣	ليس الا الرحيل
١٥٣	سأصلي له زمنا
١٥٧	الشاعر المعاصر والجمهور

## احزان افريقيا

(( سولارا )) سرية

١٧٧	الفصل الاول
٢١٣	الفصل الثاني
٢٤٧	الفصل الثالث

## ثورة عمر المختار

٢٩١

٢٩٥

٣٠٣

٤٣٣

٣٧٥

كلمات قليلة عن المسرح والمرحبة

شخصيات المسرحية

الفصل الاول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

## ابتسمي حتى تمر الخيل

٤١٥

٤١٧

٤٢٤

٤٣١

٤٣٨

٤٤٤

٤٥٠

٤٥٧

٤٦٢

٤٦٨

٤٧٤

٤٨٠

٤٨٦

٤٩٦

٥٠٣

٥٠٩

الاهداء

ابتسمي حتى تمر الخيل

البطل يعبر الى المعشوقة

ايقاعات قبل مارش النصر !..

قراءة في عيون يفسلها الدمع !

الطفل والشهيمس

عذاب هذا العصر

فرحي طفل إلهي

أعرف انك كنت ستأتين

ايقاعات على طبل شرقي

صلوا ... على الجلاد والضحية !

كارثة عاطفية داخل زمن الحصار !

معيتيقية والله قاتلوها !..

احلف باسمك أنت

الانتظار !

دمشق .. وعاشق الاميرة الجبلية